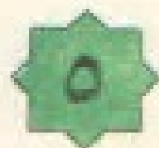
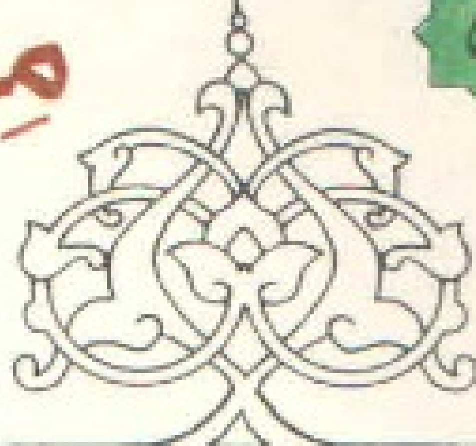
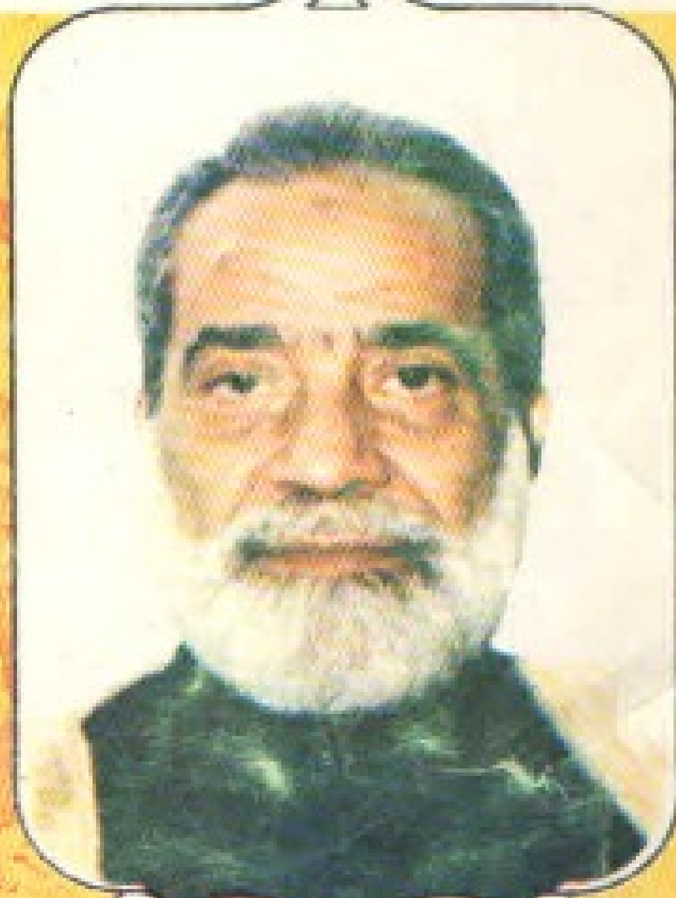
سلسلة
كتب إسلامية



الطريق إلى الله

مِنْ أَخْلَاقِيَّاتِ الإِسْلَامِ







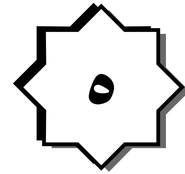
الداعية الإسلامي
ياسين رشدي



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



مِنْ أَخْلَاقِيَاتِ الإِسْلَامِ

الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهــــر
مجمــع البحــوث الاســلامية
الادارة العــامة
للبحـوث والتــأليف والترجمــة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation





الســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ــ وبعــد :

لبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : [illegible] الإسلام

تأليف : [illegible] ....

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مــانع من طبعــه على نفقتــكم الخــاصة .



مع التــأكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والاحاديث النبــوية الشريفــة .



واللــه المــوفق ،،،

والســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ،،،

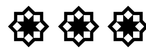
مدير عــام
ادارة البحوث والتــأليف والترجمــة

تحريرا في ١ / ٦ / ١٤١٢ هـ
الموافق ٧ / ١٢ / ١٩٩١ م



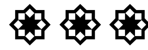
تقديم

الْحَمْـــــــــــدُ للهِ الْعَفُــــــــــــــوِّ الْغَفُــــــــــــــور ..
لاَ تَنْقَضِـــــى نِعَمُـــــهُ وَلاَ تُحْصَـــــى عَلَـــــى مَـــــرِّ الـــــدُّهُور ..
وَسِـــعَ الْخَلاَئِـــقَ حِلْمُـــهُ مَهْمَـــا ارْتَكَبُـــوا مِـــنْ شُـــرُور ..
سَـــبَقَتْ رَحْمَتُـــهُ غَضَـــبَهُ مِـــنْ قَبْـــلِ خَلْـــقِ الأَيَّـــامِ وَالشُّـــهُور ..
يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ ، وَيَغْفِرُ لِمَـــنْ أَنَـــابَ ، وَيَجْبُـــرُ الْمَكْسُـــور ..
نَحْمَـــدُهُ تَبَـــارَكَ وَتَعَـــالَى حَمْـــدَ الْقَـــانِعِ الشَّـــكُور ..
وَنَعُـــوذُ بِنُـــورِ وَجْهِـــهِ الْكَـــرِيمِ مِـــنَ الْكُفْـــرِ وَالْفُجُـــور ..
وَنَسْـــأَلُهُ السَّـــلاَمَةَ مِمَّـــا يُـــورِثُ الْمَلاَلَـــةَ أَوِ النُّفُـــور ..
وَنَرْجُوهُ الْعِصْمَةَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَـــا وَأَنْ يُنَـــوِّرَ قُلُوبَنَـــا وَالْقُبُـــور ..



وَأَشْـــهَدُ أَنْ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ اللهُ جَعَـــلَ الظُّلُمَـــاتِ وَالنُّـــور ..
خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِيهَـــا مِـــن تَفَـــاوُتٍ أَوْ فُطُـــورٍ ..
أَنْـــزَلَ مِـــنَ السَّـــمَاءِ مَـــاءً فَمِنْـــهُ أَنْهَـــارٌ وَآبَـــارٌ وَبُحُـــور ..
وَفِي الأَرْضِ قِطَـــعٌ مُتَجَـــاوِرَاتٌ مِنْهَـــا الْخِصْـــبَةُ وَمِنْهَـــا الْبُـــور ..
جَعَـــلَ اللَّيْـــلَ لِبَاسًـــا وَالنَّـــوْمَ سُـــبَاتًا وَفِـــى النَّهَـــارِ نُشُـــور ..

مَيَّـــزَ الأَشْـــيَاءَ بأضْـــدَادهَا فَبالظِّـــلِّ عُـــرِفَ الْحَـــرُور ..
وَلَوْلاَ الأَعْمَى مَا اعْتَبَرَ الْبَصِيرُ .. وَلَوْلاَ الْحُزْنُ مَا عُــرِفَ السُّــرُور ..
وَلَوْلاَ السَّقِيمُ مَا شَكَرَ السَّلِيم .. وَلَوْلاَ السَّفَهُ مَا مُدِحَ لِلْعَقْلِ حُضُور ..
وَلَوْلاَ الْقَحْطُ مَا طُلِبَ الرَّخَاءُ .. وَلَوْلاَ الْخَوْفُ مَا كَانَ للأَمَانِ ظُهُور ..
وَلَوْلاَ الظُّلْمُ مَا كَانَ لِلْعَدْلِ فَضِيلَةٌ .. وَلَوْلاَ الْفِسْقُ مَا كَانَ لِلطَّائِعِينَ أُجُور ..
وَلَوْلاَ الْقُبْحُ مَا مُدِحَ الْجَمَالُ ، وَلوْلاَ الْحَمَائِمُ مَا تَوَحَّشَتِ الصُّــقُور ..
وَلَوْلاَ النَّقْصُ مَا عُرِفَ الْكَمَالُ ، وَلَوْلاَ الْجُبْنُ مَا انْتَصَــرَ الْجَسُــور ..
وَلَــوْلاَ الطَّمَــعُ مَــا رَجَوْنَــا ، وَلَــوْلاَ الْخَــوْفُ مَــا انْتَهَيْنَــا ،
وَلَـــوْلاَ اللهُ مَــا اهْتَــدَيْــنَــا ، وَإِلَــى اللهِ تُرْجَــــعُ الأُمُــــور ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّــدًا عَبْــدُهُ وَرَسُــولُهُ كَامِــلُ النُّــور ..
الْمَرْفُوعُ ذِكْرُهُ فِي التَّــوْرَاة وَالإِنْجِيــلِ وَكَــذَلِكَ فِــي الزَّبُــور ..
الْمُزَّمِّلُ بِالْفَضِيلَةِ وَالْمُدَّثِّرُ بِالطُّهْرِ وَالْعَفَافِ وَالْمُبَــرَّأُ مِــنَ الشُّــرُور ..
مَا كَانَ سَبَّابًا ، وَمَا كَانَ صَــخَّابًا ، وَلاَ دَعَــا بِالْوَيْــلِ أَوِ الثُّبُــور ..
مَا كَانَ خَدَّاعًا ، وَمَا كَانَ مُرْتَابًا ، وَلاَ سَلَبَ بِالْحِيلَةِ أَهْلَ الــدُّثُور ..
مَا لَبِسَ الْحَرِير ، وَمَا نَامَ عَلَى الْوَثِير ، وَلاَ شُيِّدَتْ لِسُكْنَاهُ الْقُصُــور ..
مَــا هُيِّئَــتْ لَــهُ الْوَسَــائِد ، وَمَــا مُــدَّتْ لأَجْلِــهِ الْمَوَائِــد ،

وَلاَ امْـــــــتَلأَتْ بِــــــــأَلْوَانِ طَعَامِـــــــــه الْقُـــــــدُور ..
مَــــا جُمِــعَ لَـــهُ الْمَـــال ، وَمَـــا اسْـــتَذَلَّ أَعْنَـــاقَ الرِّجَـــال ،
وَلاَ هُـــــــدِّمَتْ بِبَطْشِـــــــه الْقُـــــــرَى وَالــــــدُّور ..
مَا اصْطَكَّتْ بِالرُّعْبِ مِنْهُ أَسْنَان ، وَمَا ارْتَعَدَتْ مِنْ هَيْبَتِــه الأَبْــدَان ،
وَلاَ امْـــــــتَلأَتْ بِــــــالْخَوْف مِنْــــــهُ الصُّـــــــدُور ..
مَا زُيِّفَتْ لَهُ الْحَقَائِق ، وَمَا رُفِعَتْ لِتَحِيَّتِه الْبَيَارِق ، وَلاَ صَفَّقَ لَهُ مَأْجُور ..
مَا مَشَتْ أَمَامَهُ الأَحْرَاس ، وَمَا دُقَّتْ لَهُ الأَجْرَاس ، وَلاَ تَغَنَّتْ بِأَمْجَادِه الْحُور ..
مَا رَفَعَ الشِّعَارَات ، وَمَا اسْتُقْبِلَ بِالْهُتَافَات ، وَلاَ نُثِرَتْ فِي طَرِيقِه الزُّهُور ..
مَا أَثَابَ عَلَى النِّفَاق ، وَمَا أَجَازَ لأُمَّتِه الشِّقَاق ، وَلاَ قِيلَ مِنْ أَجْلِه الزُّور ..
مَا احْتَجَبَ عَنْ رَعِيَّتِه ، وَمَا انْتَصَرَ لِقَبِيلَتِه ، وَلاَ أَبَاحَ لِنَفْسِه الْمَحْظُور ..
مَا وَهَنَتْ عَزِيمَتُهُ ، وَمَا تَغَيَّرَتْ سَجِيَّتُهُ ، وَلاَ أَصَابَهُ مِنَ الْمَدِيحِ غُرُور ..
إِذَا تَكَلَّـــمَ وَعَـــى سَـــامِعُوهُ ، وَإِذَا عَمِـــلَ قَلَّـــدَهُ تَـــابِعُوهُ ،
بِـــالإِخْلاَصِ وَلَـــيْسَ مِـــنْ أَجْـــلِ الظُّهُـــور ..
هُـــو الرَّحْمَـــةُ الْمُهْـــدَاة ، وَهُـــوَ النِّعْمَـــةُ الْمُسْـــدَاة ،
وَلَـــوْ تَبِعْنَـــا سُـــنَّتَهُ مَـــا اخْتَلَطَـــتْ عَلَيْنَـــا الأُمُـــور ..
اللَّهُـــمَّ صَـــلِّ وَسَـــلِّمْ وَبَـــارِكْ عَلَـــى نَبِيِّنَـــا بَـــدْرِ الْبُـــدُور ..
وَعَلَى الصَّحْـــبِ وَالآلِ وَمَنْ تَبِـــع ، وَقِنَـــا بِحُبِّـــهِم كُـــلَّ الشُّـــرُور ..

أما بعد ،،

فقد قال الله عَزَّ وجَلَّ لنبيه (ﷺ) مُمْتَنًّا عليه : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1] ، وحين سُئِلَت السيدة عائشة (رضى الله عنها) عن خُلقِه (ﷺ) قالت : (**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**)[2] .. ويقول هو (ﷺ) مُحَدِّدًا الهدف مِنْ بعثته : (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**)[3] .. وقد رُوِىَ أن مُعَاذ بن جَبَلٍ (رضي الله عنه) قال لرسولِ الله (ﷺ) : **يَا رَسُولَ الله ، أَوْصِنِي .. قال** : (**اتَّقِ الله حَيْثُما كُنْتَ**) .. **قال : زِدْنِى .. قال** : (**أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**) .. **قال : زِدْنِى .. قال** : (**خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)[4] .. ويقول (ﷺ) : (**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**)[5] .. وقد كان من دعائه (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ**)[6] ..

والْخُلُق فى اللغة هو : ما يَأخُذُ به الإنسانُ نَفْسَه من الأدب ، لأنه يصير كالخِلْقَة فيه .. وحُسنُ الْخُلُق قد يكون هِبَة من الله عز وجل ، بحيث يُولد الإنسان كامل العقل ، حسن الخلق ، كما هو الحال بالنسبة إلى الأنبياء .. وقد يكون مُكْتَسَبًا بالْمُجَاهَدَة ، وحمل النَّفْسِ على الأعمال التى يقتضيها الْخُلُقُ المطلوب .. فمثلاً مَنْ أراد أن يتخلق بالكرم ، والسَّخَاء ، فعليه أن يتكلَّف الإنفاق فى وجوه الخير ، ودعوة الناس إلى الطعام ، وبذل المال للمحتاجين ، ويواظب على ذلك تَكَلُّفًا

---

(1) سورة القلم آية ٤ .

(2) رواه أحمد مسند الأنصار .

(3) رواه البيهقى كتاب الشهادات .

(4) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(5) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(6) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين .

مُجاهِدًا نَفْسَهُ حتى يصير ذلك طبعًا له ، فيسهل عليه الإنفاق ، فيصبح كريمًا جوادًا بالتَّطَبُّع .. وهكذا فى جميع الأخلاق المطلوبة ، والتى أمر بها الإسلام ، وكان رسول الله (ﷺ) قُدْوَةً ، وأُسْوَةً لنا فيها ..

والْمُتَأَمِّل فى التكاليف الشرعية يجد أنها جميعًا ليست غايات فى حدِّ ذاتها ، وإنما هى وسائل للوصول إلى غايات ..

فمثلاً « **الصلاة** » يقول الله عز وجل فى شأنها : (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[1] .. إذًا فالصَّلاة وسيلة ، والغاية أن ينتهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر ، فمَنْ لَمْ تَنْهَهُ صلاته عن ذلك فقد قصرت به الوسيلة عن بلوغ الغاية .. ولو نظرنا إلى « **الصيام** » لوجدنا الله تبارك وتعالى يقول : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2] .. فالصيام وسيلة لبلوغ التقوى ، لذلك قال النبى (ﷺ) : (**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**)[3] .. وكذلك « **الزكاة** » ما هى إلا نوع من التكافُل الاجتماعى ، وإحساس الغَنِىِّ بالفقير ، وإيجاد التَّراحُم بين الناس ، والتعاطُف ، لذا كان الْمَنُّ بإعطاءِ الزكاة للفقير مُبْطِلاً لها كما قال الْحَقُّ تبارك وتعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ)[4] إذ إن الزكاة لم تصل بصاحبها

---

(1) سورة العنكبوت آية ٤٥ . (2) سورة البقرة آية ١٨٣ . (3) رواه البخارى كتاب الصوم .
(4) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

إلى غايتها : وهى الرحمة والأُخُوَّة ، والإحساس بأن للفقير حقًّا عليه ، وأنه أخ له فى الإسلام ..

وكذلك جميع الأوامر مثل : « بِرّ الوالِدَيْن » ، و« صِلَة الرَّحِمِ » ، و« كفَالَة اليَتَامَى » ، و« حُسْن الجوار » ، و« معاشرة الزوجة بالمعروف » ، و« إكرام الضيف » ، و« العَفْو » ، و« الصفْح » ، و« الكرم » ، و« الأمانة » ، و« العدل » ، ما هى إلا أخلاقيات كريمة ، إذا سادت المجتمع صَلَح ، وصَلَح أفراده ، وعاش الناس فى سلام وَوِئام .. وكذلك جميع النواهى : كالنهى عن « العُقُوق » ، و« الزِّنَا » ، و« السَّرِقة » ، و« الغش » ، و« الخيانة » ، و« الظلم » ، و« الغِيبة » ، و« النميمة » ، و« القتل » ، و« الرِّبَا » ، و« البذاءة » ، و« السِّبَاب » ، و« العداوة » ، وما إلى ذلك ، ما هى إلا نَهْىٌ عن سُوءِ الْخُلُقِ الذى يُفسد ما بين الناس ، فيفسد المجتمع ، وتضيع الحقوق ، وتضمحل القِيَم ، فتنهار الأمة من داخلها ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**إنَّ منْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا .. وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الثَّرْثَارُونَ [١] ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ [٢] ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ**)[٣] ..

---

[١] الثرثارون : هم الذين يكثرون الكلام تكلُّفًا .

[٢] المتشدقون : هم الذين يتطاولون على الناس بالكلام .

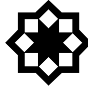
[٣] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

وهكذا نرى أن عُلُوَّ المنــزلة يوم القيامة لا يَتِمّ بلوغها إلا بِحُسْنِ الْخُلُق ، إذ إن أعلى المنازل على الإطلاق منــزلة سَيِّد الخلق (ﷺ) ، وبالتالى كان القريبون منه مجلسًا هم الحائزون لأعلى المنازل الذين بلغوها بِحُسْن الْخُلُق ..

وقد أجملنا - أيها القارئ الكريم - فيما يلى بعض أخلاقيات الإسلام التى اتَّصَفَ بــها رسول الله (ﷺ) والصالحون من بعده ، لعل الله تبارك وتعالى أن يُوَفِّقَنا بفضله للاتِّصاف بــها ، ويُلْهِمنا بكرمه العمل على بلوغها ، كى نفوز بسعادة الدارين ..

إنَّهُ على ما يَشَاء قَدِير .. وبِالإجَابَةِ جَدِير ..

وهو نِعْــمَ الْمَوْلَى .. ونِعْــمَ النَّصِير ..



وهو الوفاء بحقِّهما .. فقد أَوْلَيَاهُ مِن النِّعَمِ : التسبُّب فى إيجاده ، وتربيته ، ورعايته ، والإنفاق عليه .. فكم سهرَا لينام !! .. وكم جاعَا ليشبع !! .. وكم تَحمَّلا من الأَلَم والقلق ليوفِّرَا له الأمن والأمان .. وقد أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده ، وجعل بِرَّ الوالِدَيْن مقرونًا بذلك فقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[1] .. كما قرن شُكرهما بِشُكره فقال : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] .. وقد سُئِلَ رسول الله (ﷺ) : **أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قال : (الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا) .. قال السائل : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قال : (بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) .. قال السائل : ثُمَّ أىٌّ ؟ قال : (الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ)**[3] .. إذًا فَبِرُّ الوالِدَيْن هو من أفضل الأعمال بعد الصلاة التى هى أعظم دعائم الإسلام ..

ويعتبر عُقُوق الوالِدَيْن من أكبر الكبائر ، فقد رُوِىَ أن رسول الله (ﷺ) قال : **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه .. قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّه ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ .. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قالوا : لا يَسْكُتُ !!**[4] .. وهذا الحديث مصداق لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[5] .. وقد نَهى ربنا تبارك وتعالى

---

[1] سورة الإسراء آية ٢٣ . [2] سورة لقمان آية ١٤ . [3] رواه البخارى كتاب الأدب .
[4] رواه البخارى كتاب الأدب . [5] سورة الأنعام آية ١٥١ .

عن قول كلمة : (**أُفّ**) لهما ، وهى كلمة تَضَجُّر ورَفْضٍ .. كما نَهى عن نَهْرِهِمَا ، وهو الزَّجْرُ والغِلْظَة .. وما زاد عن كلمة (**أُفّ**) فهو فى النهى أشَدّ .. كما نَهى النبى (ﷺ) عن التسبُّب فى شَتْمهما ، ولو عن غير قصد ، وَعَدَّ ذلك من الكبائر فقال (ﷺ) : **مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْه .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْه ؟! قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ .. وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ ..** [1]

وبِرُّ الوالِدَيْن : موافقتهما على أغراضهما .. والعُقُوق : مخالفتهما فى أغراضهما الجائزة لهما .. وعليه إذا أَمَرَ أحدهما بأمر وَجَبَت الطاعة ، إذا لم يكن فى الأمر معصية لله ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِق**)[2] .. وقد رُوِىَ أن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : **كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا ، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُطَلِّقَهَا فَأَبَيْتُ .. فَأَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ : (يَا عَبْدَ اللَّهِ ، طَلِّقْ امْرَأَتَكَ) فَطَلَّقْتُهَا ..** [3]

ولا يختص بِرُّ الوالِدَيْن بأن يكونَا مُسْلِمَيْن .. بل إن كانا كافِرَيْن وجب أيضًا بِرُّهما ، والإحسانُ إليهما ، فقد ورد عن أسْماء بنت أبى بَكْر الصِّدِّيق (رضى الله عنها) أنـــها قالت : **قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّى وَهْىَ مُشْرِكَةٌ ، فِى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) ، قُلْتُ : إِنَّ أُمِّى قَدِمَتْ وَهْىَ رَاغِبَةٌ** [4] **، أَفَأَصِلُ**

---

(1) رواه مسلم كتاب الإيمان .

(2) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(3) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

(4) راغبة فى صِلتِي أو راغبة عن الإسلام .

أُمِّي ؟ .. **قَالَ** : (**نَعَمْ ، صِلِي أُمَّكِ**)[1] .. وقيل : إن هذا هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : (لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ)[2] .. وقد رُوِيَ أن رجلاً جاء إلى رسول الله (ﷺ) يستأذنه فى الجهاد ، **فقال** : (**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟**) .. **قَالَ** : **نَعَمْ** .. **قَالَ** : (**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**)[3] .. كما جاء رجل إلى النبى (ﷺ) يبايعه على الهجرة ، وتَرَكَ أبويه يبكيان ، فقال له : (**ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**)[4] ..

هذا .. وما ينطبق على الآباء والأمهات ينطبق على الأجداد والجدّات ، فهم أيضًا آباء وأمهات ..

ومهما فعل الإنسان من برٍّ بوالِدَيْه لا يمكن أن يوفِّيهما حقَّهما ، أو يجزيهما عن إحسانـــهما إليه .. فقد قال النبى (ﷺ) : (**لاَ يَجْزِى وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**)[5] .. وعندما قِيلَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) : مَا حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ ؟ قَالَ : (**لَوْ خَرَجْت مِنْ أَهْلِك وَمَالِك مَا أَدَّيْت حَقَّهُمَا**)[6] .. وعن عبد الرَّحْمَن بن شُرَيْح أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فقالت : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّ أُمِّي بَلَغَتْ فِي السِّنِّ عِنْدِي حَتَّى وَلِيتُ مِنْهَا الَّذِي كَانَتْ وَلِيَتْهُ مِنِّي ،

---

(١) رواه البخارى كتابى الأدب والهبة .

(٢) سورة الممتحنة آية ٨ .

(٣) رواه البخارى كتاب الجهاد .

(٤) رواه النسائي كتاب البيعة .

(٥) رواه مسلم كتاب العتق .

(٦) رواه ابن أبى شيبة كتاب الأدب .

وحَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهَا عَيْشٌ إِلاَّ دَرِّى ، وكُنْتُ أُنَظِّفُهَا مَا يُنَظِّفُ مِنْهُ الصَّبِيُّ ، فَهَلْ بَلَغْتُ يَا رَسُولَ الله إِذًا مَا كَان ؟ .. قال : (**لاَ ، إِنَّك وَلِيت مِنْهَا الَّذِي ذَكَرْتِ وَأَنْتِ تُحِبِّينَ الرَّاحَةَ مِنْهَا ، وَوَلِيَتْ ذَلِكَ مِنْك وَهِيَ تُحِبُّ بَقَاءَك**) .. يقول أبو شُرَيْح : وسمعت ابن عمر بن الخطاب قال لبعض من يقول في نحو ذلك : (**ولا طَلْقَةٌ** [1] **مِنْ طَلاَئِقِهَا**)[2] ..

ولا ينتهى برُّ الوالِدَيْن بوفاتــهما ، بل يستمر حتى بعد مماتــهما ، فقد جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلَمَةَ إلى رسول الله (ﷺ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، هَلْ بَقِىَ مِنْ بِرِّ أَبَوَىَّ شَىْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ قَالَ : (**نَعَمْ .. الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِى لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**)[3] ..

وبِرُّ الوالِدَيْن فى الكِبَرِ من أهم الطاعات والقُرُبات ، لأَنَّهُمَا في هذه المرحلة أَوْلَى بالرِّعاية ، وأحق بالعناية .. والسَّعيد هو الذى يُبَادر باغتنام فرصة بِرِّهِمَا لئلا تفوته بموتــهما فيندم على ذلك .. والشَّقِىّ مَنْ عَقَّهُما ، فقد رُوِىَ أن النبى (ﷺ) قال : **رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ** [4] .. **قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ .. قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ** .. [5]

---

[1] الطَّلْق : وجع الولادة .

[2] رواه ابن وهْب فى « الجامع للحديث » كتاب الأسماء .

[3] رواه أبو داود كتاب الأدب .

[4] رغم أنفه : أَيْ لَصِقَ بِالرِّغَامِ – وَهُوَ التُّرَابُ – مِنْ الذُّلِّ .

[5] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

وقد أمرنا ربُّنا تبارك وتعالى بخفض الجناح لهما ، والتذلُّل لهما ، والتحدُّث معهما بالكلام اللِّين اللطيف ، والدعاء لهما ، والترحُّم عليهما بقوله : (وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[١] ..

وكما أن بِرَّ الوالِدَيْن يُدْخِلُ صاحِبَه الجنة ، فإنه يفيده فى الدنيا بأن يَبَرَّهُ أبناؤه لقول النبى (ﷺ) : (**بَرُّوا آباءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ**)[٢] .. وبِرُّ الأُمِّ مُقَدَّم على بِرِّ الأَبِ .. ومَحَبَّة الأُمِّ ، والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال حُبِّ الأب .. فقد تحملت : الْحَمْل ، والوِلادة ، والإرْضَاع .. كما أن التربية تنفرد بــها الأم دون الأب .. وقد جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : **يَا رَسُولَ اللَّه ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ؟ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ** [٣].. وقد ورد عن الإمام مالك (رضي الله عنه) أن رجلاً استفتاه قائلاً : إن أبى على سفر ، وأرسل يستدعينى وأنا مُقِيمٌ مع أُمِّى ، فَأَبَتْ عَلَيَّ السَّفَر ، وطلبت منى البقاء معها ، فأيهما أُطِيعُ ؟! .. قال الإمام مالك : (**أَطِعْ أَبَاك ، وَلا تَعْصِ أُمَّك**)[٤] .. فخرج الرجل مُتَحَيِّرًا ..

هذا .. وطاعة الأبوين واجبة على الزوج بعد طاعة الله مباشرة .. أما بالنسبة إلى الزوجة : فطاعة زوجها مُقَدَّمة على طاعة أبويها ، وذلك لأن الرسول (ﷺ)

---

[١] سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ . [٢] رواه الحاكم فى المستدرك . [٣] رواه البخارى كتاب الأدب .

[٤] تفسير القرطبى .

يقول : (**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَاب الْجَنَّة شئْت**)[1] ..

وبركة الْبرِّ بالوالدَيْن لا حُدُود لها .. ويحكى لنا النبى (ﷺ) عن مَثَلٍ لهذه الْبَرَكَة فيقول : (**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْط ممَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبيتَ إِلَى غَارٍ ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ منَ الْجَبَلِ ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لاَ يُنْجيكُمْ منْ هَذه الصَّخْرَةِ إلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالحِ أَعْمَالكُمْ .. فَقَالَ رَجُلٌ منْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ** [2] **قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً** [3] ، **فَنَأَى** [4] **بِى فِى طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ** [5] **عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ – وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَىَّ ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ** [6] **عِنْدَ قَدَمَيَّ – أَنْتَظرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ** [7] ، **فَاسْتَيْقَظَا ، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا .. اللَّهُمَّ ، إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيه منْ هَذه الصَّخْرَة .. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ .. وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِى بِنْتُ عَمٍّ ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا** [8] ، **فَامْتَنَعَتْ منِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ** [9] **منَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِى ، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِى وَبَيْنَ**

---

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

[2] الغبوق : اللبن يُشرب فى المساء .

[3] يريد بذلك الزوجة والأولاد والرقيق والدواب .

[4] نَأَى : بَعُدَ .

[5] لم أرح : لم أعد .

[6] يتضاغون : يصيحون ويستغيثون من الجوع .

[7] برق الفجر : طلع وظهر ضياؤه .

[8] أردتــها عن نفسها : كناية عن الجماع .

[9] ألمت بــها سنة : أصابتها شدة وحاجة .

نَفْسهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لاَ أُحلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إلاَّ بحَقِّه [1] **، فَتَحَرَّجْتُ منَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذى أَعْطَيْتُهَا .. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيه .. فَانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ منْهَا .. وَقَالَ الثَّالثُ : اللَّهُمَّ إِنِّى اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحد تَرَكَ الَّذى لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ** [2] **حَتَّى كَثُرَتْ منْهُ الأَمْوَالُ ، فَجَاءَنى بَعْدَ حينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّه ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِى ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ : منَ الإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالرَّقيقِ .. فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّه ، لاَ تَسْتَهْزِئْ بِى .. فَقُلْتُ : إِنِّى لاَ أَسْتَهْزِئُ بكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَاقَهُ ، فَلَمْ يَتْرُكْ منْهُ شَيْئًا .. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيه .. فَانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)** [3] ..

وهكذا نرى كيف أن بِرَّ الوالدَين يُنْجِى من المهالك ، وأنه من الأعمال التى قد يلجأ الإنسان بها إلى الله حال الكرب ، فيكشف الله بها كربه .. وهناك قصة أخرى نرى أنه من المناسب أن نختم بها هذا الموضوع الهام لنتعرَّف بعضَ حقوق الأب على ابنه : فقد جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : يَا رَسُولَ اللَّه ، إنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) للرَّجُلِ : (**اذْهَبْ فَأْتني بِأَبِيك**) .. فَنَزَلَ جبْرِيلُ (عليه السلام) عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَقَالَ : (**إنَّ اللَّهَ يُقْرِئُك السَّلامَ ، وَيَقُولُ : إذَا جَاءَك الشَّيْخُ ،**

---

[1] فض الخاتم : كناية عن الجماع .

[2] ثَمَّرت أَجْره : نَمَّيْته له .

[3] رواه البخارى كتابى الإجارة ، والمزارعة .

فَسَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِه مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ) .. فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) : (مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ ، أتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟!) .. فَقَالَ : سَلْهُ يَا رَسُولَ اللَّه ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إلاَّ عَلَى عَمَّاته ، أوْ خَالاته ، أَوْ عَلَى نَفْسِي ؟! .. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (إيه .. دَعْنَا منْ هَذَا .. أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْته فِي نَفْسك مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاك) .. فَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُنَا بكَ يَقينًا ، لَقَدْ قُلْت فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمعَتْهُ أُذُنَايَ .. فقَالَ (ﷺ) : (**قُلْ ، وَأَنَا أَسْمَعُ**) .. قَالَ : قُلْتُ :

غَذَوْتُكَ [1] مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ [2] يَافِعًا [3] ... تَعُلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْك وَتَنْهَلُ [4]
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسَّقَمِ [5] لَمْ أَبِتْ ... لسُقْمِكَ إِلاَّ سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ [6]
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَك بِالَّذِي ... طُرِقْت بِهِ دُونِي فَعَيْنَاي تَهْمُلُ [7]
تَخَافُ الرَّدَى [8] نَفْسِي عَلَيْك وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجِوَارِ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخَلُ

فَحِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِتَلابِيبِ ابْنِهِ ، وَقَالَ : (**أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ**) [9] ..

---

[1] غَذَوْتُك : رَبَّيْتُك ، وأطْعَمْتُك ، وأسقَيْتُك .
[2] مُنْتُك : أنْفَقْتُ عليك وكَفَلْتُك .
[3] يافعًا : شابًّا .
[4] عَلَلٌ بعد نَهَلٍ : الشُّرْب بعد الشرب تِباعًا .
[5] السقم : المرض .
[6] أتملل : لا أهدأ من القلق .
[7] تهمل : تفيض بالدموع .
[8] الردى : الهلاك .
[9] رواه الطبراني في المعجمين الأوسط والصغير ..

صِلَة الرَّحِم

الرَّحِمُ فى الأصل هو مستودع الْجَنِين فى أحشاء الْحُبلَى .. ويُطْلَق على ذَوِى القُرْبَى الذين اشتركوا فى رَحِمٍ واحدة مثل الإِخْوَة ، يليهم أبناء الخال ، والخالة ، وأبناء العم ، والعمّة ، لأن الأم والخالة اشتركتا فى رَحِمٍ واحدة ، وكذلك : الأب والعم .. وهكذا ، فإن الرَّحِمَ دَرَجَاتٌ بحسب درجة القُرْب .. وصِلَة الرَّحِم من أهم الأمور فى الإسلام .. وتأتى أهميتها بعد أهمية بِرِّ الوالِدَيْن مُبَاشرة .. فقد جاء فى سورة « النِّسَاءِ » الأمر بتوحيد الله تبارك وتعالى وطاعته ، ثم الأمر بِبِرِّ الوالِدَين ، ثم الأمر بصِلَةِ الرَّحِم : (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ)[1] .. مما يدل على أن ذوى القُرْبَى لهم حقوق يجب أن تُؤَدَّى فى الدنيا ، وهى : صِلَة الرَّحِم ، ويعنى هذا : إيصَالُ كُلِّ خَيْرٍ إليهم ، ودَفْعُ كُلِّ شَرٍّ عنهم ، بِحَسْبِ الاستِطَاعَةِ ، وقَدْر الطَّاقَة .. وهذه الصِّلة تتنوع بِحَسب حالِ الرَّحِم الموصولة : فإن كان القريب فقيرًا فإنَّ صِلَتَهُ تكون بالمساعدة بالمال ، والنبى (ﷺ) يقول : (**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ**)[2] .. وإن كان القريب مظلومًا فَصِلَتُهُ : بنصره ، وتأييده ، ومحاولة رفع الظلم عنه .. وإنْ كَانَ مريضًا فَصِلَتُهُ : بالزيارة والتخفيف عنه ، وتحسين ظنه بالله ، وابتغاء العلاج له ، ومباشرة أحواله ، والعناية بأهله وأولاده الذين منعه مرضه من رعايتهم .. وإن كان ضالاًّ فَصِلَتُه : محاولة هدايته ، ونُصْحه ، وإرشاده بالرِّفْق ،

---

(1) سورة النساء آية ٣٦ .

(2) رواه الترمذى كتاب الزكاة .

واللِّين ، والْحُبِّ ، والحنان ، دون تعنيف أو هَجْر .. والقرآن ملىء بأمثلة ذلك ، كنُصْح إبراهيم (عليه السلام) لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾[1] .. ولَمَّا لَمْ يستجب الأب لنصح ابنه قال له الابن ، كما يحكى القرآن : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[2] ..

وهكذا تتنوع صِلَةُ الرَّحِم بحسب حال ذى الرَّحِم .. مع ملاحظة أن الموَدَّة المتبادلة بين الإِخْوَة والأقارب ، وإن كانت من أخلاق الإسلام ومطلوبة ، إلاّ أنّ صِلَة الرَّحِم أمر آخر ، إذ يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**)[3] .. أى إن مكافأتك لإحسان ذوى القُرْبَى بالإحسان لا تُعَدُّ من باب صِلَة الرَّحِمِ .. وإنما الصِّلة بمعنى : الوَصْل ، أى وصل ما قُطِعَ وانفصم .. ولذلك كان من أعلى الأخلاق أن تعفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وأن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وأن تُعْطِىَ مَنْ حَرَمَكَ ، وهو خُلُقُ النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى أُمِرَ به فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4] ..

وكلمة « الرَّحِمِ » مُشتَقَّةٌ مِن كلمة « الرَّحْمَة » ، وهى أيضا اشتقاق من اسم الله تبارك وتعالى « الرحمـــٰــن » .. وقد جاء فى الحديث القدسى قول الله عز وجل للرَّحِم : (**خَلَقْتُك بِيَدِي ، وشقَقْتُ لَكِ اسْمًا مِنْ اسْمِى ، وَقَرَّبْتُ مَكَانَك مِنِّى .. وعِزَّتِي وجَلالِي : لأَصِلَنَّ مَنْ وَصَلَكِ ، وَلأَقْطَعَنَّ مَنْ قَطَعَك ، ثُمَّ لاَ أَرْضَى حَتَّى تَرْضَيْ**)[5] .. ويدل ذلك على أن لِذَوى الرَّحِمِ حقوقًا ، إذا لم ينالوها فى

---

(1) سورة مريم آية ٤٥ . (2) سورة مريم آية ٤٧ . (3) رواه البخارى كتاب الأدب .
(4) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (5) رواه الحكيم عن ابن عبَّاس (رضى الله عنهما) .

الدنيا طالبوا بـــها يوم القيامة ، وأن رضا الله تبارك وتعالى متوقف على رضا الرَّحِمِ التى حين خلقها الله استَجَارَت من القطيعة ، كما يحكى لنا النبى (ﷺ) بقوله : (**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِه قَالَت الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائذ بكَ مِنَ الْقَطِيعَة ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَك ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَك**)[1] ..

وصِلَة الله تبارك وتعالى للعبد : هِدَايتُه ، ورحمته ، وقطيعة الله تبارك وتعالى : غَضَبُه ، وعذابه .. فمن مِنَّا يحتمل ذلك ؟! .. ويشير القرآن إلى أهمية الرَّحِمِ فى كثير من المواضع .. فمثلاً حين غضب « موسى » (عليه السلام) من أخيه « هارون » (عليه السلام) وعاتبه على عدم اتِّباعه – حين اتَّخَذَ قومُه الْعِجْلَ – استدرَّ « هارونُ » (عليه السلام) عطفَ أخيه بتذكيره بصِلَةِ الرَّحِمِ ، فقال له ، كما يحكى القرآن الكريم : (يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ)[2] .. ونلاحظ أنه لم يخاطبه بقوله : يا أخى ، وإنما بقوله (يَبْنَؤُمَّ) أى : يا مَنْ شاركْتَنِى فى رَحِمٍ واحدة .. وكذلك حين دخلت أُمُّ هانئ بنت أبى طالب على رسول الله (ﷺ) بعد فتح مكة تشكو أخاها عليًّا بن أبى طالب لم تقل : (إنَّ أخى) ، ولم تقل : (إنَّ عليًّا) ، وإنما قالت : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ !!** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**)[3] .. أى : أدخلناه فى جوارنا ، وبسطنا عليه حمايتنا .. وحين دخل النبى (ﷺ) على ابنته فاطمة (رضى الله عنها) يومًا ، ورآها غاضبة من زوجها

---

[1] رواه البخارى كتاب الأدب . [2] سورة طه آية ٩٤ . [3] رواه البخارى كتاب الصلاة .

– الذى خرج إلى المسجد تاركًا بيته – سألها قائلاً : (**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ ؟**) ولم يقل : (أَيْنَ زَوْجُكِ ؟) .. وكأنه يُذَكِّرها بصلة الرَّحِمِ ، تلطيفًا للموقف .. واستدْرارًا لعاطفتها .. فقالت : (**كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ** [1] **عِنْدِي**) .. فوجده الرسول (ﷺ) مُضطجعًا فى المسجد قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : (**قُمْ أَبَا تُرَابٍ .. قُمْ أَبَا تُرَابٍ**)[2] .. ولم يُعَنِّفْه ، ولم يسأله عن سبب المغاضبة ، أو يتدخل بين الزوجين .. وفرح عليُّ بنُ أبى طالب بـــهذه الكُنْيَةِ ، وكان يسعدُ جدًّا بأن يُنادَى : (**يا أبا تُراب**) .. وفى قصة الغلام الذى قتله « الْخَضِرُ » (عليه السلام) يحكى لنا القرآن الكريم قوله : (فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)[3] .. أى : أطهرَ منه ، وأصلحَ ، وأشدَّ رحمةً وبرًّا بـــهما .. وكذلك يُبيِّن ربنا – تبارك وتعالى – أهمية حقوق ذوى الأرحام بقوله : (وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)[4] ..

ومِن صِلَة الرَّحِمِ الواجبة : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فلا يصح أن يترك الأخ أخاه بعيدًا عن الله .. أو يرى ذوى رَحِمِهِ على مَعْصِيَةٍ ، ولا يُقدِّم لهم النُّصْحَ بالحِكْمَةِ ، والموعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. فربُّنا تبارك وتعالى يوضِّح ذلك بقوله : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا)[5].. ويُثْنِى على « إسماعيل » (عليه السلام) بقوله : (وَكَانَ

---

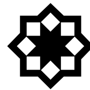
[1] القيلولة : النوم فى منتصف النهار . [2] رواه البخارى كتاب الصلاة . [3] سورة الكهف آية ٨١ .
[4] سورة الأنفال آية ٧٥ . [5] سورة طه آية ١٣٢ .

يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا)[١] ..

وقد يتعلَّل بعض الناس بمشاكل الحياة وهمومها فى عدم سؤالهم عن ذوى القربى ، ومودَّتــهم .. ولكن إلى جانب ذلك ، فهناك من الوسائل المتاحة – الآن – ما لم يكن مُتاحًا من قبل ، مثل : إرسال البرقيات للتهنئة ، أو العزاء ، وإرسال الورود إلى المرضى فى بيوتــهم ، أو مراكز علاجهم ، وكذلك الاتصال بالهاتف ، وإرسال الخطابات .. وما إلى ذلك مما يُوجِدُ الأُلْفَة ، والْمَحبَّة ، ودوام الصِّلَة ..

هذا .. ولا يَصِحّ مقاطعة ذوى الرَّحِم مطلقًا إلاَّ فى حالة واحدة : وهى أن يكون ذو الرحم فاجرًا ، لا يُؤْمَنُ شَرُّه ، ولا يُجدى معه نُصح ، وإرشاد ، ولا تزيده الصِّلَةُ إلا بَغْيًا ، وعُلُوًّا ، وعُدْوانًا .. ومع ذلك يجب الدعاءُ له بالْهِدَايَةِ ، والاسْتِغْفَارُ لَهُ .. ولنا فى « إبراهيم » (عليه السلام) أُسوة حَسَنَة ، إذ قال لأبيه – بعد ما يئس منه – كما يحكى القرآن : (سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا)[٢] ..

هذا .. وقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**[٣] : **فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)[٤] ..



---

[١] سورة مريم آية ٥٥ . [٢] سورة مريم آية ٤٧ .

[٣] ينسأ له فى أثره : يظل ذكره بين الناس حتى بعد وفاته .

[٤] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

رِعَايَة الْيَتِيم

« اليتيم » : هو مَنْ فَقَدَ الأَبَ .. ولا يُتْمَ بعد البُلُوغِ .. والْيُتْم فى الإنسان بفقد الأب ، والْيُتْم فى الحيوان بفقد الأم .. ورعاية اليتيم من أهم الأمور التى أوصى بـــها رسول الله (ﷺ) وبشَّرَ عليها بعُلُوِّ الدرجات فى الجنة ، فقد قال (ﷺ) : (**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**) .. **وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلاً** [1] .. ويقول أيضًا (ﷺ) : (**مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لا يُغْفَرُ لَهُ**)[2] .. ومعلوم أن الذى لا يُغْفَر من الذنوب هو الشِّرْك فقط .. ويقول (ﷺ)أيضًا : (**مَنْ عَالَ ثَلاثَةً مِنَ الأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ ، وَصَامَ نَهَارَهُ ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ**) .. **وَأَلْصَقَ إِصْبَعَيْهِ : السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى** [3] ..

ويبين القرآن الكريم خطورة الإساءة إلى اليَتِيم فيقول : (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ)[4] .. ويَمْتَنُّ الله تبارك وتعالى على حبيبه المصطفى (ﷺ) ، ويُوصيه باليتيم فيقول : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ) [5] .. (فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) [6] ..

---

[1] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[2] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .
[3] رواه ابن ماجة كتاب الأدب .
[4] سورة الماعون الآيات من ١ : ٣ .
[5] سورة الضحى آية ٦ .
[6] سورة الضحى آية ٩ .

وقد حرَّم الله تبارك وتعالى أكل أموال الناس عامة بالباطل فى قوله : (وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [1] ومع ذلك خصَّ مال اليتيم بالذِّكْر ، وشدَّد فى تحريم أكله بالباطل بقوله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[2] ..

وقد كان من شدَّة خوف الصحابة ، وحرصهم أن امتنعوا عن خلط أموالهم بأموال اليتامى الذين يكفلونــــهم ، مما عرَّضهم لمشقة شديدة ، وعرَّض أموال اليتامى للتجميد ، وعدم النماء ، فسأل بعضهم رسول الله (ﷺ) عن ذلك ، وهل يمكن أن يتاجروا بأموال اليتامى لتنميتها لهم ، وإصلاحها ، فنـــزل قول الله عز وجل : (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ)[3] ..

ويُنبِّه ربُّنا تبارك وتعالى الأوصياء على اليتامى فيقول : (وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[4] .. ويأمر سبحانه وتعالى الأوصياء على اليتامى : برعايتهم ، وتعليمهم ، واختبار حسن تدبيرهم ، حتى يقوموا هُم بإدارة أموالهم ، بعد استِلاَمِهَا كاملة غير منقوصة ، ويحذر من استغلال صِغَرِ سِنِّهِمْ لأكل أموالهم ، ويجيز للفقير أن يأكل من مال اليتيم مقابل

---

(1) سورة البقرة آية ١٨٨ . (2) سورة النساء آية ١٠ . (3) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

(4) سورة النساء آية ٢ .

إدارته ، وتنميته ، ويطلب من الغَنِيِّ أن يُدير مال اليتيم بغير أجر فيقول : (وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)[١] ..

ورُوِى أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَسْوَةَ قَلْبِه ، فَقَالَ لَهُ : (**إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ : فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**)[٢] .. ويقول (ﷺ) : (**إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِبُكَائِه ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلائكته : مَنْ أَبْكَى عَبْدِي وَأَنَا قَبَضْتُ أَبَاهُ وَوَارَيْتُهُ فِي التُّرَابِ ؟ فَيَقُولُون : رَبَّنَا ، لاَ عِلْمَ لَنَا ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى : اشْهَدُوا ، لَمَنْ أَرْضَاهُ أُرْضِيه يَوْمَ الْقِيَامَة**)[٣] .. ويقول (ﷺ) أيضًا : (**لاَ يَلِي أَحَدٌ مِنْكُمْ يَتِيمًا فَيُحْسِنُ وِلاَيَتَهُ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِه إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَة ، وَمَحَا عَنْهُ بِكُلِّ شَعْرَة سَيِّئَة ، وَرَفَعَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ دَرَجَة**)[٤] .. ورُوِى عن النبى (ﷺ) أنه قال : (**أَيُّمَا مُسْلِمٍ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِه وَشَرَابِه حَتَّى يَسْتَغْنِيَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ**)[٥].. وحين قال (ﷺ) : (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات**) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : (**الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ،**

---

[١] سورة النساء آية ٦ .

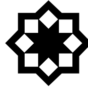
[٢] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

[٣] رواه أبو نعيم عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

[٤] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

[٥] رواه أحمد مسند البصريين .

وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافلات)[1] .. ويقول (ﷺ) : **(مَنْ وضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتيمٍ تَرَحُّمًا ، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ تَمُرُّ يَدُهُ عَلَيْهَا حَسَنَة)**[2] .. ويقول (ﷺ) أيضًا : **(خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ : بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ .. وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ : بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ)**[3] ..



(1) رواه البخارى كتاب الوصايا .

(2) رواه ابن المبارك عن ثابت بن العجلان .

(3) رواه ابن ماجه كتاب الأدب .

قال رسول الله (ﷺ) : **(أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بْن عِمْرَان : يَا مُوسَى ، إِنَّ مِنْ عِبَادِى مَنْ لَوْ سَأَلَنِى الْجَنَّةَ بِحَذَافِيرِهَا لأَعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ سَأَلَنِى غِلاَفَ سَوطٍ لَمْ أُعْطِه .. لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هوان لَه عَلَىَّ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ لَهُ فِى الآخِرَة مِنْ كَرَامَتِى ، وَأَحْمِيهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحمِى الرَّاعِى غَنَمَه مِنْ مَرَاعِى السُّوءِ .. يَـا مُوسَى ، ما أَلْجَأْتُ الْفُقَرَاءَ إِلَى الأَغْنِيَاءِ أَنَّ خَزَائِنِى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وأَنَّ رَحْمَتِى لَمْ تَسعْهُمْ ، وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِ الأَغْنِيَاء مَا يَسَـعُهُمْ ، أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ مُسَارَعَتُهُم فِيمَا فَرضْتُ لِلفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِهِمْ .. يَا مُوسَى ، إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتْمَمْتُ عَلَيْهِم نِعْمَتِى ، وأَضْعَفْتُ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا لِلوَاحِدَة عَشْرُ أَمْثَالِهَا .. يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا ، ولِلضَّعِيف حِصْنًا ، ولِلْمُسْتَجِيرِ غَيْثًا ، أَكُنْ لَكَ فِى الشِّدَّةِ صَاحِبًا ، وفِى الْوَحْدَةِ أَنِيسًا ، أَكْلَؤُكَ فِى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ)**[1] ..

والحديث يوضح أن الغنَى والفَقْرَ بيد الله .. فليس لِلْغَنِىِّ فضل فى كثرة ماله ، وليس للفقير ذنب فى قِلَّة ماله ، وإنما الله تبارك وتعالى يبلو الأغنياء بالفقراء ، ويبلو الفقراء بالأغنياء ، هل يشكر الغَنِىُّ ، ويُؤَدِّى حق الفقراء فى ماله ؟ وهل يقنع الفقير ، ولا يَحْسُدُ الغَنِىَّ على ماله ؟ .. والله تبارك وتعالى قدَّر الأقوات من قبل خَلْقِ الناس ، فَمِن العِبَاد مَنْ يصلح له الغِنَى ، ولو أفقره الله لفسد حاله .. ومِن العباد مَنْ يصلح له الفقر ، ولو أغناه الله لفسد حاله .. ولو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم كما فرضها

---

[1] رواه ابن النَّجَّارِ عن أَنَسٍ (رضي الله عنه) .

الله ، ما بقى فى الأمة فقير ، ولا محتاج .. إذ إن فى أموال الأغنياء ما يسع الفقراء ، فقد خلق الله الخلق ، وأحصى العدد ، وقسَّم الأرزاق ، و لم يَنْسَ أحدًا .. كل ما هناك أن من الناس مَنْ يأتيه رزقه مُباشرة نتيجة : عمل ، أو زراعة ، أو صناعة .. ومنهم مَنْ يأتيه رزقه من خلال صدقة الأغنياء ، وإنفاقهم .. فَمَنْ مَنَعَ زكاة ماله ، فكأنما سرق من الفقير ماله ، وسلبه حقه ، فيطالبه الله به يوم القيامة ، حيث لا دِرْهم ، ولا دينار .. وربُّنا تبارك وتعالى يُثْنِى على الذين يُؤَدُّون الحق فيقول : (وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ)[1] .. ويتأكد حق الفقراء فى أموال الأغنياء بقول الحق تبارك وتعالى : (وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ)[2] .. إذاً فالمال مال الله ، والغَنِىّ مُسْتَخْلف فيه ، ولا شك أنه مسئول يوم القيامة عما استخلفه الله فيه إذا لم يؤدِّ الحقَّ الذى عليه ، بالإضافة إلى أنه مُعرَّض فى الدنيا للعقُوبة بسَلْب ماله ، فالله تبارك وتعالى يقول : (وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم)[3] ..

ويحدثنا « أبو ذَرٍّ الغفارى » (رضي الله عنه) فيقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**إِنَّ الْمُكْثِرِينَ**[4] **هُمُ الْمُقِلُّونَ**[5] **يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا**[6] **فَنَفَحَ**[7] **فِيهِ يَمِينَهُ ، وَشِمَالَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَرَاءَهُ ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا**)[8] .. ويبيِّن النبى (صلى الله عليه وسلم)

---

[1] سورة المعارج الآيتان ٢٤ ، ٢٥ . [2] سورة الحديد آية ٧ . [3] سورة محمد آية ٣٨ .

[4] المكثرين : الأغنياء . [5] المقلون : الأقل ثوابًا . [6] أى مالاً .

[7] نفح : أي أعطى كثيرًا بغير تكلف . [8] رواه البخارى كتاب الرقاق .

حقيقة المال فيقول : (**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي .. وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ : مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**)[١]، وكأن المال الذى ينفع صاحبه : هو الذى يُنْفِقُه على الفقراء ، أما ما سوى ذلك : فهو ذاهب ولا بقاء له .. ويقول النبى (ﷺ) : (**مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَمَاله وَعَمَله مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ثَلاثَةُ أَخِلاَّء ، قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : أَنَا مَعَكَ مَا دُمْتَ حَيًّا ، فَإِذَا مِتَّ فَلَسْتَ مِنِّي ولاَ أَنَا مِنْكَ .. فَذَلِكَ مَالُهُ .. وقَالَ الآخَرُ : أَنَا مَعَكَ ، فَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَبْرِكَ فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ لَكَ .. فَذَلِكَ وَلَدُهُ .. وقَالَ الآخَرُ : أَنَا مَعَكَ حَيًّا وَمَيْتًا .. فَذَلِكَ عَمَلُهُ**)[٢].. ويقول (ﷺ) : (**تَعِسَ**[٣] **عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ**[٤] ، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ**[٥] ، **وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**[٦])[٧] .. ويقول : (**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ ، وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**)[٨] .. ويبيِّن (ﷺ) وظيفة المال ، ومدى حب الإنسان له ، وأنه لا يشبع منه ، فيقول راويًا عن رَبِّ العِزَّة سبحانه : (**إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ**

---

(١) رواه مسلم كتاب الزهد .
(٢) رواه البيهقي فى شُعَب الإيمان .
(٣) تعس : سقط .. والمراد هنا : هلك .
(٤) الخميصة : ثوب مخطط من حرير أو صوف .
(٥) انتكس : أى إذا قام من سقطته عاوده السقوط .
(٦) وإذا شيك فلا انتقش : أي إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش .. وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة .
(٧) رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .
(٨) رواه مسلم كتاب الزكاة .

ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ)[1] ..

وقد كان رسول الله (ﷺ) سَخيًّا جوادًا ، فعن أَنَسٍ (رضي الله عنه) أنه قال : (**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ)**[2] .. وعنه (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ (ﷺ) ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : (**أَيْ قَوْمِ ، أَسْلِمُوا .. فَوَاللَّهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لا يَخَافُ الْفَاقَةَ**[3])[4] ..

ويَحثُّ النبى (ﷺ) على الإنفاق على الفقراء فيقول : (**السَّخِيُّ : قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ .. وَالْبَخِيلُ : بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ .. وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ)**[5] .. والله تبارك وتعالى يَعِدُ المنفقين بالإكثار من أموالهم فيقول : (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[6] ..

ولأهمية رعاية الفقراء جعل الله تبارك وتعالى إطعامهم ، وكسوتهم كفارةً لليمين (الْقَسَم) ، كما جاء فى قوله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ)[7] .. وكذلك جعل الإطعام كفارة للمُحْرِم إذا قتل صيدًا ، فقال : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ

---

(1) رواه أحمد مسند الأنصار . (2) رواه مسلم كتاب الفضائل . (3) الفاقة : الحاجة والفقر .
(4) رواه أحمد باقى مسند المكثرين . (5) رواه الترمذى كتاب البر والصلة . (6) سورة سبأ آية ٣٩ .
(7) سورة المائدة آية ٨٩ .

تَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ)[1] ..

وكذلك يَحِلُّ الإطعام محل الصيام فى بعض من الكفَّارات ، مثل كفارة الظِّهَارِ ، وغيرها : (فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا)[2] ..

وهو أيضًا يكون عِوضًا عن صيام رمضان لغير القادرين عليه ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)[3] ..

وإطعام الفُقَرَاء ابتغاء وجه الله تعالى من أسباب النجاة يوم القيامة ، كما جاء فى قوله عَزَّ وجَلَّ : (إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا)[4] ..

والإطعام كذلك من أسباب دخول الجنة بسلام ، كما جاء فى قول رسول الله (ﷺ) : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**)[5] ..

---

(1) سورة المائدة آية ٩٥ . (2) سورة المجادلة آية ٤ . (3) سورة البقرة آية ١٨٤ .
(4) سورة الإنسان الآيات من ٩ : ١١ . (5) رواه ابن ماجه كتاب الأطعمة .

حُسنُ الْجِوَار

يقول الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[1] ..

وقد بيَّنت الآية الكريمة أنواعًا من الجِوار : فهناك الجار القريب أى من ذَوِى القُرْبى .. والجار الْمُلاصِق فى السكن .. وكذلك الجار المؤقت ، وهو المصاحب فى طريق ، أو الجار فى وسائل المواصلات المختلفة .. وأَوجَبَت الإحسان إلى الجميع .. وخُتِمَت الآية بختام يُشْعِر أن عدم الإحسان إلى الجار ، أو الإساءة إليه لا يَصْدُرَان إلا من مُخْتَالٍ فَخُورٍ قد امتلأ قلبه بالكِبْرِ والاستعلاء على غيره ..

والوصيَّة بالجار جاءت فى أحاديث كثيرة للنبىِّ (ﷺ) منها قوله : (**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**)[2] ..

ويُحَذِّر النبى (ﷺ) من إيذاءِ الجار بأىِّ نوع من أنواع الأذى فيقول : (**وَاللَّه لا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ**) قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (**الَّذي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**[3])[4] .. وحين قال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا !! قَالَ : (**هِيَ فِي النَّارِ**)[5] ..

---

(1) سورة النساء آية ٣٦ . (2) رواه البخارى كتاب الأدب . (3) بوايقه : شروره .
(4) رواه البخارى كتاب الأدب . (5) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

وكذلك يُبيِّنُ (ﷺ) أن على الجار أن يَتَفَقَّدَ أحْوَالَ جارِه ، فهو أَوْلَى بمعْرُوفِه ، ورِعَايَتِه ، فيقول : (**مَا آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ ، وجَارُه جَائِعٌ إلَى جَنْبِه وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**)[1] ..

ومن المؤسف والمحزن أننا نرى بعض الناس فى زماننا هذا لا يُراعون حُسن الجوار .. ويَقَعُون فيما يُغْضِب الله ورسوله من إيذاء الجار بمختلف الوسائل ، ولا يُراعون أحواله أو ظروفه .. كَمَنْ يستخدم المذياع بأسلوب يزعج جيرانه الذين قد يكون فيهم : المريض ، والشيخ الكبير ، والعابد الْمُتَهَجِّد ، والطالب الذى يستذكر دروسه ، وكذلك ما يحدث فى المآتم من إقامة السرادقات ، واستخدامٍ لِمُكَبِّرات الصوت بأسلوب يزعج أهل الحى جميعًا ، بل ويوهمهم بالإثم ، لأنــهم لا يستطيعون أن يتفرَّغُوا لسماع القرآن استجابة لأمر الحق تبارك وتعالى : (وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[2] .. بل والأدهى من ذلك أن الكثيرين ممن يقرأون القرآن فى هذه المناسبات لا يُحْسِنون قراءته ، ولا التقيُّد بأحكام تلاوته ، ومثل ما يحدث فى المآتم يحدث فى الأفراح .. وقد ابتدع بعض الجهلاء بدعة سَيِّئة مهينة ألا وهى « زفَّة العروس » فى الطرقات ، وأسفل البيوت ، دون خجل ، أو حياء ، أو مراعاة للجيران الذين قد يكون منهم : الحزين ، والمريض .. إلخ ..

وكذلك مانراه من فعل بعض الشباب الذين يقودون سيَّاراتــهم برعُونة ، وطيش دون مراعاة لسيَّارات يقودها كبار السِّنِّ ، ولا يكتفون ببثِّ الرُّعْبِ ،

(1) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .   (2) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

والْخَوْفِ فى نفوس المارة فى الطريق ، وإنما تصدر من سيَّاراتـــهم أصوات الأغانى الهابِطَة ، والموسيقى الصاخِبة ، وكأنـــهم قد ملكوا الطريق وحدهم ..

وهؤلاء المتصارعون على ركوب وسائل المواصلات العامة يدفعون كبار السِّنِّ والنساء دون رحمة أو شفقة ..

وأولئك النسوة اللاتى يقذفن بالفضلات والقمامة من النوافذ فتتجمع أسفل البيوت مما يُؤذى الجيران بالروائح الكريهة وانتشار الحشرات الضارة ..

وأولئك الذين يتلصَّصُون على جيرانـــهم ، ويتتبَّعُون عوراتـــهم ، ويفشون سَيِّئَاتـــهم ، ويخفون حسناتـــهم ، ويتربَّصُون بـــهم ..

كل أولئك مُعَرَّضُون لِغَضَبِ الله تبارك وتعالى .. محرومون من شفاعة رسوله (ﷺ) .. يُؤخذ من حسناتِهم – إن كانت لهم حسنات – لأولئك الذين آذوهم ، أو يحملون من سَيِّئَاتِهم إن لم تكن لهم حسنات ، بالإضافة إلى ما يُصيبهم فى الدنيا من عُقُوبات يشير إليها قول الرسول (ﷺ) : (**مَنْ ضَارَّ ، أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ .. وَمَنْ شَاقَّ ، شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ**)[1] ..

ويُرْوَى أن سيدنا داود عليه السلام كان يقول : (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارٍ عَيْنُهُ تَرَانِي ، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي ، إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَشَاعَهُ**)[2] .. وكان من دعاء النبى (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِى دَارِ الْمُقَامَةِ ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ**)[3] ..

---

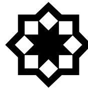
[1] رواه أبو داود كتاب الأقضية .
[2] رواه ابن أبي شيبة كتاب الدعاء .
[3] رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة (رضي الله عنه) .

هذا .. ومن الأمور المكروهة أن يخرج الصبيان بفواكه يأكلونـــها أمام أولاد الجيران الذين لا يحصلون على مثلها .. أو يتباهون أمامهم بملابسهم الجديدة ، أو باللُّعَب .. وكذلك ما يحدث فى بعض المدارس من حضور أولاد وهم يحملون معهم ما لَذَّ وطاب من المأكولات يأكلونـــها أمام المحرومين فيتعرضون للحسد والكراهية ، بالإضافة إلى اعتيادهم التفاخُر والزَّهْو من الصِّغَرِ ، فيشبون على الأخلاق الرَّذِيلة .. ولقد ورد النهى كذلك عن إيذاء الجار بدخان الطعام إلا أن تـــهديه منه ، أو تدعوه لِيَطْعَمَ مَعَك ..

وقد رُوِى عن الإمام « أبى حَنِيفَة النُّعْمَان » (رحمه الله تعالى) أنه كان يسكن إلى جواره رجل (يصلح الأحذية القديمة) يبيت ليله يعاقر الخمر ، ويدُقُّ الأحذيةَ التى يصلحها ، ويغنى بصوت مرتفع كريه :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتًى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْـــرِ

وكان الإمام يَصْبِرُ على هذا الأذى ، ولا يُفْشِى سِرَّ جارِه سَيِّئِ الْخُلُقِ .. وفى يوم من الأيام قُبِض على هذا الجار ، وسِيقَ إلى السِّجْن .. ولما افْتَقَدَ الإمامُ صوتَه وضوضاءَه سأَل عنه ، فعلمَ ما حَدَث له .. فذهبَ وتشفَّعَ له حتى أخرجوه من السجنِ .. فأخذَ الإمامُ بِيَدِهِ ، وقال له : هَلْ أضعْنَاك يا فَتَى ؟ فخجل الرجلُ أَشَدَّ الخجلِ ، وتابَ على يد الإمام – رحمه الله – وصَلَح حاله ..



الإصْلاحُ بَيْنَ النَّاس

الإصلاحُ بين الناس من الأمور التى أمر بـــها الله ، ورسولُه .. وهو من الأهمية بمكان ، إذ به يصبح المسلمون إخوَة ، وتَذْهَبُ عنهم الشحناء ، والتباغض ، والتدابُر .. والله تبارك وتعالى يقول : (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[1] .. ويأمر بالإصلاح بين فئات المسلمين وطوائفهم فيقول : (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ)[2] .. فالإصلاح مطلوب ، ولو وصل الأمر إلى القتال ، وهذا بشروط : العدل فى الحكم .. والبعد عن الهوى .. وعدم التَعَصُّبِ لجنس ، أو لون ، أو قبيلة .. والإخلاص لله فى ذلك .. وقد رُوِىَ أن رسول الله (ﷺ) قال : (**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالمًا أَوْ مَظْلُومًا**) ، **فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟! قَالَ :** (**تَحْجُزُهُ – أَوْ تَمْنَعُهُ – مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**)[3] .. وعلى الرغم من أن الكذب ممنوع إلا أن رسول الله (ﷺ) قد رَخَّص فيه عند الإصلاح بين الناس ، فقال : (**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**)[4] .. وذلك لأهمية الإصلاح بين الناس .. وقد قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

---

[1] سورة الأنفال آية ١ . [2] سورة الحجرات آية ٩ . [3] رواه البخارى كتاب الإكراه .
[4] رواه البخارى كتاب الصلح .

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[١] .. وهو أمر من الله تبارك وتعالى بالعمل على إزالة العداوة والبغضاء بين الناس ، والإصلاح بينهم ، حتى لا نكون كالذين قال الله تعالى فى شأنـــهم : (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)[٢] ..

وعن الإصلاح بين الزوجين يقول الحق تبارك وتعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)[٣] .. ويقول : (وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ)[٤] ..

وما من أمر من أوامر الله عز وجل يُطَاع ، إلا وله ثوابه وجزاؤه ، فالإصلاح بين المتخاصِمَيْن مأمور به ، وللقائم به أجره وثوابه إذا ابتغى به وجه الله .. والنبى (ﷺ) يقول : (**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلاَةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟**) **قَالُوا : بَلَى .. قَالَ** : (**صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ .. فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ .. لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**)[٥] .. نعم ، فإن التخاصُم بين الناس ، والخلاف بينهم يورث العداوة ، والبغضاء ، ويوقع المتخاصِمين فى : الغِيبَة ، والنميمة ، والسُّخْرِيَة ، والسّباب ، والشتم .. وكلها من الكبَائر التى تذهب بدين الإنسان .. والله تبارك وتعالى يقول : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ . (٢) سورة الحشر آية ١٤ . (٣) سورة النساء آية ٣٥ .
(٤) سورة النساء آية ١٢٨ . (٥) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)[1] ..

وقد يصل الأمر إلى التقاضى ، وأكل المال بالباطل ، وشهادة الزور ، وإفناء العمر فى الكيد للخصم ، والتربُّص به ، وما إلى ذلك – ويقول أحد الحكماء : (**لو تراحَمَ الناسُ لاسْتَرَاحَ القاضِي ، ولَبَاتَ كُلٌّ عَنْ أَخيهِ رَاضيًا**) ..

وقد تفضى الخصومة إلى توارث البغضاء والعداوة عن الآباء ، وينشأ الثأر ، فيقتل الناس بعضهم بعضًا أخذًا بالثأر ، وتُسْفَكُ دماء بريئة بغير ذنب ، أو جَرِيرَة .. ورسول الله (ﷺ) يقول : (**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَان بسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**) قالوا : **يَا رَسُولَ اللَّه ، هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ** : (**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه**)[2] ..

ويشير الحق تبارك وتعالى إلى فضل الإصلاح بين الناس فيقول : (لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[3] .. ويبيِّن النبى (ﷺ) ما يجب أن تكون عليه أُمَّته فيقول : (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ : إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)[4] ..

---

[1] سورة الحجرات آية ١١ . [2] رواه البخارى كتاب الإيمان . [3] سورة النساء آية ١١٤ .
[4] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

ويقول (ﷺ) : (**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ .. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**)[1] .. ولما كان ذلك كذلك كان الإيقاع بين الناس من الكبائر التى تُهْلِك صاحبها ، وهو النميمة التى حذَّرنا رسول الله (ﷺ) منها .. والخصومة غالبًا ما تنشأ بين الناس بسبب حُبِّ الدنيا ، والتنافُسِ عليها ، مما يورث الحسد ، والحقد ، والكراهية ، والبغضاء .. وكل ذلك حذَّر منه النبى (ﷺ) بقوله : (**لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**)[2] .. وإذا حدثت العداوة بين الناس : ضعفت الأمة ، وتشتَّت وتفرَّقت قلوبـــها ، فصغرت فى أعين أعدائها ، فغلبوها على أمرها ، كما أخبرنا النبى (ﷺ) مُنذِرًا ، ومُحَذِّرًا بقوله : (**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى**[3] **عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا**) **فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذ ؟! قَالَ** : (**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ**[4] **السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**) **فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ** : (**حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)[5] .. نعم ، صدق رسول الله (ﷺ) فقد قيل : (**إن حُبَّ الدنيا رأسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**) ..

وقبل أن يُهاجر النبى (ﷺ) إلى المدينة ، كان الأوس والخزرج فى حروب مستمرة ، وعداوة ، مما أتاح الفرصة ليهود المدينة أن يسيطروا عليهم ، وأن ينشغلوا

---

(1) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (2) رواه البخارى كتاب الأدب .

(3) تداعى : اجتمعوا ، ودعا بعضهم بعضًا لقتالكم وسلبكم .

(4) الغثاء : كل ما يحمله السيل من زبد ووسخ . (5) رواه أحمد وأبو داود .

بجمع المال ، فتكون لهم القوة والسلطان ، ويكثر عددهم ، ويُنْشِئُوا الحصون الكثيرة : كحصون خَيْبر ، وقُريظة ، وبَنِى النضِير ، ويقل عدد العرب بالتقاتل ، ونشوء الثأر بينهم ، ويصرفوا جهودهم فيما يعود عليهم وعلى أبنائهم بالضرر ، فَتَترَمَّل النساء ، ويتيَتَّم الأطفال ، ويقلُّ المال فى أيديهم ، ويسهل بعد ذلك استئصالهم .. وحين هاجر النبى (ﷺ) إلى المدينة ، وشرح الله صدور أهلها للإسلام ، ألَّف الله بين قلوبهم ، وامْتَنَّ عليهم بذلك فقال : (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1] .. ويأمرهم سبحانه وتعالى بالاعتصام به ، ويُذَكِّرهم بفضله عليهم ، ويُحَذِّرهم من الفُرْقَة فيقول : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[2] .. ولعل الله تبارك وتعالى أن يُؤَلِّف بين قلوب المسلمين .. ولعلهم ينتبهون إلى عِبَرة التاريخ ، وأن ما أصاب الأمةَ مِنْ وَهَنٍ ، وضَعْف ، وتمزُّق ما هو إلا بسبب الاختلاف ، والفُرْقَة ، والتنافُس على الدنيا .. ولو عملوا بالنصيحة ، فأصلحوا ذات بينهم ، لتوحدت الجهود ، وتآلفت القلوب ، وما طمع فيهم أعداؤهم ، واجترءوا عليهم ، فاقتطعوا أرضهم ، ونَهبوا ثرواتهم ..

---

(1) سورة الأنفال آية ٦٣ .

(2) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الأُخُوَّةُ فِى الله

يقول رسول الله (ﷺ) : (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ .. لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يَخْذُلُهُ ، وَلاَ يَحْقِرُهُ**)[١] .. وقد آخى النبى (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار ، فتحقَّقت هذه الأُخوَّة عملاً ، حتى إن الله تبارك وتعالى ذكرها فى كتابه العزيز ، مُثْنِيًا على الأنصار الذين فتحوا قلوبهم ، وبيوتهم لإخوانهم من المهاجرين ، فقال : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[٢] .. ولقد كان هذا الإيثار عن حُبٍّ ، ورغبة ، واختيار ، فقد اقتسم الأنصار أموالهم ، ودورهم ، وأرضهم مع إخوانهم من المهاجرين .. ومن أمثلة ذلك أن النبى (ﷺ) قد آخى بين « عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ » – وهو من المهاجرين – و« سَعْد بْن الرَّبِيعِ » – وهو من الأنصار – فقال « سَعْدُ ابْن الرَّبِيعِ » لـــ « عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ » مِن ضِمْن ما قاله له : **لِي مَالٌ ، فَنِصْفُهُ لَكَ .. وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَانْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجْهَا** .. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ** [٣] .. فذَهَبَ ، وبَاعَ ، واشتَرَى ، وعَادَ بفَضْلِ سَمْن وأَقِطٍ [٤] .. وما يُرْوَى عن قصص الحب والإيثار بين المهاجرين والأنصار أكثر من أن يُحصى ..

---

[١] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [٢] سورة الحشر آية ٩ . [٣] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
[٤] أقط : جُبن .

ويُشير القرآن الكريم إلى الأُخُوَّة فى الله ، وأنــها باقية لا تزول ، وذلك بقوله : (ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ)[١] .. والخلَّة هى الْحُبُّ المتين الصادق الذى يتخلَّل قلب المحِبِّ .. والآية تُشْعِرُنا بأن كل حُبٍّ فى الدنيا زائل ، وقد ينقلب إلى عداوةٍ يوم القيامة ما عدا الحُبَّ فى الله ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)[٢] .. وقد قِيل : (**ما كان لله دَامَ واتَّصَلَ ، وما كانَ لغَيرِ الله انْقَطَعَ وانفَصَل**) ..

ويحكى القرآن الكريم مقالة من كان حبه لغير الله فيقول : (وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِى ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِى لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولاً)[٣] .. وفى يوم القيامة كل نَسَب وسَبَب مقطوع : (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ)[٤].. وكذلك كل صداقة وحُبٍّ : (وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا)[٥] .. وكل إنسان مشغول بنفسه ، مهموم ، لا يجد معه أحدًا يواسيه ، أو يخفِّف عنه ، أو يُؤْنسه : (وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا)[٦] ..

ولكن هناك من يقول الحق تبارك وتعالى فى شأنــهم : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا)[٧] .. فالوُدُّ والْمَوَدَّةُ ستكون أيضًا

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٧ .
(٢) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
(٣) سورة الفرقان الآيات من ٢٧ : ٢٩ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٠١ .
(٥) سورة المعارج آية ١٠ .
(٦) سورة مريم آية ٩٥ .
(٧) سورة مريم آية ٩٦ .

للمتحابين والمتآخين فى الله .. إذ إن بين السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظِلَّ إلا ظلّه : اثنين تحابّا فى الله ، اجتمعا عليه ، وتَفَرَّقا عليه .. وفى شأن المتحابين فى الله وما ينتظرهم من فضل ، وإنعام لا يحظى به غيرهم ، يقول الرسول (ﷺ) : (**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ، وَلاَ شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى**) .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟! قَالَ : (**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا .. فَوَاللَّهِ ، إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ .. لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**)[(١)] .. وَقَرَأَ : (أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)[(٢)] .. ويقول (ﷺ) : (**قَالَ الله تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ وَالْمُتَوَاصِلِينَ .. وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**)[(٣)] ..

والأُخُوَّة فى الله رغم أن ثوابها عظيم ، إلا أنها أمر سهل يسير .. فأن تحب المسلم لا تُحِبُّه إلا لله ، وأن تكون صادقًا معه .. أمينًا فى نصحه .. ترد غيبتَه .. تُؤْثِره على نفسك .. تزوره إذا مرض .. تدعو له بالخير .. كل ذلك لا يُكلِّف الإنسان مَشَقَّة ، بل يورث الأُلفة والتودُّد .. وقد ورد أن رسول الله (ﷺ) قال : (**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**)[(٤)] .. وعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ :

---

(١) رواه أبو داود كتاب البيوع . (٢) سورة يونس آية ٦٢ . (٣) رواه أحمد مسند الأنصار .
(٤) رواه أبو داود كتاب الأدب .

كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ مَرَّ رَجُلٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ .. قَالَ : (**هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَلِكَ ؟**) قَالَ : لا .. فَقَالَ : (**قُمْ فَأَعْلِمْهُ**) .. قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ .. قَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ [1] ..

ويصف بعض الشيوخ الأُخُوَّة فى الله فيقول :

إنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَك ... وَمَنْ يَضُـــرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَك

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَك ... شَتَّتَ فِيك شَمْلَهُ لِيَجْمَعَك

واصطناع الْحُبِّ مطلوب ، فالنبى (ﷺ) يقول : (**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**)[2] .. كما أمر (ﷺ) بإفشاء السلام ، وهو أن تسلم على من تعرف ومن لا تعرف من المسلمين .. ويقول فى ذلك : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**)[3] .. ويقول : (**إِذَا الْتَقَى الرَّجُلانِ الْمُسْلِمَانِ ، فَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِه ، فَإِنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمَا بِشْرًا لِصَاحِبِه ، فَإِذَا تَصَافَحَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ : لِلْبَادِئِ مِنْهُمَا تِسْعُونَ ، وَلِلْمُصَافِحِ عَشْرَةٌ**)[4] ..

ومَحَبَّةُ الصالحين ومجالستهم تنفع الإنسان فى الدنيا والآخرة : ففى الدنيا يتعلم منهم ، ويقتدى بـــهم .. إذا ذكر الله أعانوه ، وإذا نسى ذَكَّرُوه .. وقد قِيل : (**مَنْ جَالَسَ جَانَسَ**) .. وأما فى الآخرة فيكون معهم لقول رسول الله (ﷺ) :

---

(1) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(2) رواه البخارى فى الأدب المفرد .

(3) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(4) رواه البزار عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)[١] ..

هذا .. والأُخُوَّة فى الله لها التزامات ، من أهمها : رَدُّ الغيبة عنه ، حتى ولو كان ما يُقَال عنه حَقًّا .. فقد رُوِىَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) قَالَ : (**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟**) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .. قَالَ : (**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**) .. قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : (**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**)[٢] ..

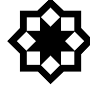
والغِيبة من الكبائر ، وعدم رَدِّ الغِيبة عن المسلم من الكبائر أيضًا ، لأن السكوت معناه : المشاركة ، والرضا بما تسمع .. وفى رد الغيبة يقول النبى (ﷺ) : (**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخيه ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[٣] .. ويقول (ﷺ) : (**مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .. وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إِلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ**)[٤] ..

ومن التزامات الأُخُوَّة فى الله أن يأمَنَك أخوك على : نَفْسِه ، وعِرْضه ، ومَاله ، فلا تقعْ فى عِرضِه ، ولا تَسْلُبْ ماله ، ولا تُسْلِمْه لَعَدُوِّه ، ولا تُخِفْهُ ، ولا تَمْنَعْ عنه ما يطلب ، إن كان فى وسعك ، وكان فيه صلاحه ، فكُلّ المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، ولا يَصِحُّ تَرْوِيعُ المسلم ، فالنبى (ﷺ) يقول : (**لاَ**

---

[١] رواه البخارى كتاب الأدب .
[٢] رواه مسلم كتاب البر والصلة .
[٣] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .
[٤] رواه أبو داود كتاب الأدب .

يَحلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)[1] .. ويقول : (**مَنْ أخَافَ مُؤْمِنًا بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُؤَمِّنَهُ مِنْ أفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**[2] .. ويقول : (**مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَخَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[3] .. ويقول : (**مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ ، وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)**[4] .. ويقول : (**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ)**[5] .. ويقول : (**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا ، طَوَّقَهُ**[6] **اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)**[7] .. ويقول : (**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا)**[8] ..



---

(1) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(2) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط .

(3) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(4) رواه ابن ماجه كتاب الديات .

(5) رواه الترمذى كتاب الديات .

(6) طوقه : جعل طوقًا فى عنقه .

(7) رواه مسلم كتاب المساقاة .

(8) رواه البخارى كتاب الديات .

حُقُوقُ الزَّوْجَيْن

امْتَنَّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بأن جعل له أنيسًا من جِنْسِهِ : يأْلَفُه ، ويَسْكُن إليه ، وبالتزواج بينهما يحفظ النوع الإنساني ، وتأتى الذُّرِّيَّة التى هى زهرة الحياة الدنيا ، وفلذة الأكباد .. فيُعِين الولد أباه فى كِبَرِهِ ، ويحمل اسمه ، ويساعده على اجتياز مصاعب الحياة ، ويستغفر له بعد موته ، ويدعو له .. والأبناء حصاد الزواج .. وحيثما كان الزواج سعيدًا نشأ الأولاد فى بيئة صالحة ، وتــهيَّأت لهم فرصة السلامة من العُقَدِ ، والأمراض النفسِيَّة ، والأخلاق الرذيلة ..

وقد حدد الله تبارك وتعالى نوع العلاقة بين الزوجين فقال : (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1] .. فالسَّكِينَةُ ، والْمودَّةُ ، والرحمةُ بين الزوجين .. هى دعائم الحياة الزوجية السعيدة التى امْتَنَّ الله على الإنسان بــها .. ولكى تتوفر هذه الحياة السعيدة رَسَمَ القرآن ، ورَسَمت السُّنَّةُ الطريقَ إليها ، والوسائل المؤدِّية إليها .. فَمِنْ أوامر الحق تبارك وتعالى فى هذا الشأن قوله : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[2] .. ويقول النبى (ﷺ) : (**إنَّ منْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ**)[3] .. ويقول (ﷺ) : (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**)[4].. ويوصى (ﷺ)

(1) سورة الروم آية ٢١ . (2) سورة النساء آية ١٩ . (3) رواه الترمذى كتاب الإيمان .
(4) رواه الترمذى كتاب المناقب .

بالنساء فى خطبة الوداع فيقول : (**أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ**[1] **عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**[2] ، **فَإِنْ فَعَلْنَ ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**[3] ، **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ، فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ : فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ**[4] ، **وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ .. أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ : أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**)[5] ..

والمتأمِّل فى كيفية خَلْقِ المرأة يجد أنــها خُلِقَتْ مِنْ ضلع « آدم » ، وهو أقرب مكان من القَلْب .. وكأنَّ هذا هو مكانــها الطبيعى من زوجها : أن تكون فى قلبه ، فيعاملها بالعاطفة ، والْحُبِّ ، والحنان .. ولو خُلِقَت المرأة من رأس الرجل لكانت عقلَه المفكر الذى يَسُوسُه ويقوده .. ولو خُلِقَتْ من يده لبطَشَ بــها ، أو تكسَّبَ بــها .. ولو خُلِقَتْ من رِجْلِهِ لدَاسها ، وأهانَها ، واستعْلى عليها .. ولكنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ أقرب مكان من قَلْبه ، حتى تكونَ منبعَ العواطف الجَيَّاشة ، والمشاعر الجميلة ، ولكى نعلم أن الرجل هو الأصلُ ، والمرأة فرع ، وأنه هو الكل ، وهى الجزء ، ولا حياة للكل إلا بجميع أجزائه ، ولا حياة للجزء إلا بانتمائه إلى أصله .. ولذلك كانت

---

(1) عَوَان : أَسْرَى .
(2) كل ما قَبُح من قَوْل أو فِعْل دون الزِّنى .
(3) غير مبرح : غير شديد ، وعليه أن يجتنب الوجه.
(4) أى من تكرهون من الأقارب المحارم أو النساء الأجانب .
(5) رواه الترمذى كتاب الرضاع .

القَوَامَةُ للرِّجَال .. والله تبارك وتعالى يقول : (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ)[1] .. وهذه القَوَامَة لابد أن نفهمها على وجهها الصحيح ، فهى : ليست استِعْلاء ، أو تَحكُّمًا ، أو إرْهابًا .. وإنما هى مسئولية الرَّاعى نحو رَعِيَّته .. مسئولية أصل الشجرة نحو فروعها : فأصل الشجرة قوى ثابت فى الأرض يمتص منها الماء والغذاء ، فيمد الفروع به .. وهو الذى يحمل الفروع فتحيا بحياته ، وتُحفَظ بحفْظِه .. ومسئولية الرَّجُل تبدأ باختياره لشريكة حياته ، والذى حدد النبى (ﷺ) أساسه قائلا : (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**)[2] .. كما حدد (ﷺ) الصفات الواجب تَوَافُرها فى هذه الشريكة بقوله : (**خَيْرُ فَائِدَةٍ اسْتَفَادَهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَ الإِسْلاَمِ : امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا**)[3].. وقد صحَّح النبى (ﷺ) الكثير من مفاهيم الجاهلية وتقاليدها .. تلك الجاهلية التى كانت تَئِدُ البناتِ ، وتَعُقُّ الأُمهاتِ ، وتَرِثُ الزوجاتِ ، فقد كان الرجل يَرِثُ نساءَ أبيه ضِمْنَ تَرِكَتِه ، يَفْعَلُ بِهِنَّ ما يشاءُ .. وكانت البناتُ لا يَرِثْنَ من الآباء شيئًا .. وكان الرجل يقسو على امرأته ويضربــها ضربًا مُبَرِّحًا ، ويستردُّ منها صداقها تحت تــهديد الاتــهام بالخطيئة .. ويَجْمَعُ معها ما يشاء من النساء ، بغير تحديد لعدد ، ودون اضطرار إلى ذلك لأىِّ سبب ..

---

[1] سورة النساء آية ٣٤ . [2] رواه مسلم كتاب الرضاع . [3] رواه ابن أبى شيبة كتاب النكاح .

والْمتتبِّع لسُنَّة النبى (ﷺ) وحياته مع نسائه يجد المثل الأعلى فى حُسْن المعاشرة ، ولِين الجانب ، والرِّفْقِ ، والحنان .. وقد أطلق على النساء لقب « القَوَارِير » حين كان فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ غُلامٌ لَهُ أَسْوَدُ – يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ – يَحْدُو ، وأسرعت الإبل فى سيرها لجمال صوت الْحَادِى [1] ، وسرعة وقع إنشاده .. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ ، رُوَيْدَكَ بِالْقَوَارِيرِ**)[2] .. ويدخل مرة على أهله ويسألهم الأُدُمَ [3] ، فَقَالُوا : مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ ، فَدَعَا بِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : (**نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ .. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ**)[4].. يأكل هنيئًا دون اعتراض أو تعنيف ..

وكان الرجال فى الجاهلية لا ينامون مع نسائهم فى فراش واحد .. لكن الرسول (ﷺ) عَلَّمَنَا أن الزوج ينام مع زوجته فى فراش واحد ، بل وفى لحاف واحد .. وكان الرجل يعتزل امرأته إذا حاضت : فلا يجالسها ، ولا يؤاكلها .. وتحكى لنا السيدة « عائشة » أم المؤمنين (رضى الله عنها) طرفًا من سلوكيات سيِّدِ الْخَلْقِ (ﷺ) فتقول : (**إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لَيُقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ**) .. **ثُمَّ ضَحِكَتْ** [5].. وقد وَصَفَتْ حَالَتَهُ فى بَيْتِهِ بقولها : **كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ** [6].. وحين سُئِلَت : مَا كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : (**كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ** [7] ، **وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ**)[8] .. وتحكى السيدة « أُمُّ سَلَمَةَ » (رضى الله عنها) فتقول : **بَيْنَمَا**

---

[1] الحادى : مَنْ يَسُوق الإبل متغنيًّا لها .
[2] رواه البخارى كتاب الأدب .
[3] الأدم : ما يؤكل مع الخبز من الطعام .
[4] رواه مسلم كتاب الأشربة .
[5] رواه البخارى كتاب الصوم .
[6] رواه البخارى كتاب الأذان .
[7] يخصف نعله : يُصلحها .
[8] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْخَمِيلَةِ (١) **إِذْ حِضْتُ ، فَانْسَلَلْتُ ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي ، فَقَالَ : مَا لَكِ أَنَفِسْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .. فَدَخَلْتُ مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ** (٢) ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : **كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ ، كِلانَا جُنُبٌ .. وَكَانَ يَأْمُرُنِي فَأَتَّزِرُ** (٣) **فَيُبَاشِرُنِي** (٤) **، وَأَنَا حَائِضٌ ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ ، فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ** (٥) ..

وفى يوم من أيام عيد الأضحى كان الأحباش يلعبون بِحِرَابِهم فى المسجد ، وأرادت (رضى الله عنها) أن تنظر إليهم ، فجلس (ﷺ) على باب حُجرته ، واسْتَنَدَتْ هى على ظهره ، تنظر من فوق كتفه إلى لعب الأحباش ، وظلا هكذا حتى إذا مَلَّتْ قال (ﷺ) لها : **حَسْبُكِ ؟ قالت : نَعَمْ .. قَالَ : فَاذْهَبِي** (٦) ..

وقصة فَقْدِهَا لِعِقْدِهَا ، وأمره (ﷺ) للجيش بالانتظار حتى يتم العثور على العِقْد قصة معروفة مشهورة ، ونزل فيها من القرآن آيات التيمُّم ، وعلى رغم تعنيف أبيها - أبى بكر الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) - لها تعنيفًا شديدًا إلا أنَّ الرسول (ﷺ) لم يُعَنِّفْهَا ولا بكلمة واحدة ..

وحُسْن معاشرته (ﷺ) لزوجاته لم يقتصر على واحدة منهن ، بل كان كذلك معهن جميعًا .. وحتى من قَبْل بعثته (ﷺ) حين تزوج السيدة « خديجة » التى كانت تَكْبُرُه بخمس عشرة سنة - وكان هو فى عُنْفُوانِ شبابه - لم يتزوجْ عليها بأخرى حتى ماتت (رضى الله عنها) .. وكان يَذْكُرُها كثيرًا بعد مماتها ، ويتعاهد صُوَيحِبَاتِها

(١) الخميلة : كساء غليظ . (٢) رواه البخارى كتاب الصوم . (٣) أتزر : ألبس الإزار .
(٤) يباشرنى : يحتضنى . (٥) رواه البخارى كتاب الحيض . (٦) رواه البخارى كتاب الجمعة .

بالهدايا حتى غارت السيدة « عائشة » ، على رغم أنـــها لم تجتمع بـــها قط .. وتحكى عن ذلك فتقول : **مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (ﷺ) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ .. وَمَا رَأَيْتُهَا .. وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ !! فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ .. وَكَانَتْ .. وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ** [1] .. وحين قالت له السيدة « عائشة » يومًا : قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : (**مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا .. قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ .. وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ .. وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ .. وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ**)[2] ..

وهكذا استمر وفاؤه للسيدة « خديجة » (رضوان الله عليها) على رغم موتـــها حتى آخر عمره (ﷺ) ، وحين مَرِضَ رسول الله (ﷺ) مَرَضَ الْمَوْت أراد أن يُمَرَّضَ فى بيت « عائشة » فكان يقول لنسائه : (**أينَ أنا غَدًا ؟ أينَ أنَا غَدًا ؟**)[3] ففهمن رغبته ، فَأَذِنَّ له فى ذلك ، وانتقل إلى بيت « عائشة » (رضى الله عنها) فمات فى اليوم الذى كان يدور عليها فيه .. فتقول (رضى الله عنها) : (**إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي** [4] ، **وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ**)[5] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] رواه أحمد باقى مسند الأنصار . [3] رواه البخارى كتاب المناقب .
[4] السَحْر : أسفل الصدر .. والنحر : أعلى الصدر .
[5] رواه البخارى كتاب المغازى .

وأمثلة حسن معاشرته (ﷺ) لنسائه تفوق الحصر .. وقد قدَّم كثيرًا من النصائح للأزواج ، لينعموا بالحياة السعيدة الهانئة المستقرة .. وكذلك قدَّم كثيرًا من النصائح للزوجات ، للقيام بواجباتهن نحو أزواجهن ، من : حسن المعاشرة ، والتعاطف ، والحنان ، وحفظ المال ، ورعاية الولد .. كما بَشَّرَ الطائعات منهن لأوامره بعظيم الثواب ، وجزيل العطاء .. فقد رُوِىَ أنه (ﷺ) قال لعَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضى الله عنهما) : (**يَا عَبْدَ اللَّه .. أَلَمْ أُخبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ قال : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ : فَلاَ تَفعَلْ .. صُمْ وَأَفطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، فَإِنَّ لجَسَدكَ عَلَيْك حَقًّا.. وَإِنَّ لعَيْنك عَلَيْكَ حَقًّا .. وَإِنَّ لزَوْجكَ عَلَيْكَ حَقًّا**)[١] ..

ويُرْوَى أن أَسْمَاء بنت يَزِيد الأَنْصَارِيَّة أتت النبي (ﷺ) وهو بين أصحابه ، فقالت : **بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي ، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إليكَ ، وأعْلَمُ – نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ – أَنَّهُ مَا مِنْ امْرَأَة كَائِنَة فِي شَرْقٍ ولاَ غَرْبٍ سَمعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلاَّ وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي .. إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَـهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ : مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وحَامِلاَتُ أَولادِكُمْ .. وإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ : فُضِّلْتُمْ علينَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَات ، وعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ ، والْحَجِّ بَعْد الْحَجِّ ، وأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ .. وإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ**

---

[١] رواه البخارى كتاب النكاح .

مُرَابِطًا حَفظْنَا لَكُمْ أمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلاَدَكُمْ .. فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الأَجْرِ يَا رَسُولَ الله ؟! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : (**هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِى أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذه ؟!**) .. فقالوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَة تَهْتَدي إِلَى مِثْلِ هَذَا !! فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : (**انْصَرِفِى أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وَأَعْلِمِى مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ** [١] **إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا ، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَهُ ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ**) .. فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا ..[٢]

وسلوك الصحابيات اللاتى تأدبن بآداب رسول الله (ﷺ) فى حسن معاشرة الأزواج يضيق عن ذكره المقام ، ونذكر حادثة واحدة تَدُلُّ على ذلك .. فقد مَرِضَ طفل صغير لـــ « أبى طَلْحَةَ الأنصارى » فكان يَتَوَجَّعُ من ذلك المرض ، ويبكى كثيرًا حتى ينقطع نَفَسُهُ ، فخرج « أبو طلحة » إلى المسجد يومًا ، فمات الولد ، فَغَطَّتْهُ أُمُّهُ « أمُّ سُلَيْمٍ بنتُ مَلْحَان » .. ثم تزيَّنَتْ ، وتعطَّرَت ، وتـــهيَّأت لزوجها .. فلما عاد إلى البيت سأل عن حال الولد ، فقالت : (**هو أسْكَنُ ممَّا كَانَ**) .. ولم تخبره بموته ولم تكذب ، بل لجأت إلى التعريض فقد سَكَنَ الولد فعلاً ، ثم أعدَّت الطعام لزوجها ، وأَمْكَنَتْهُ من نَفْسِهَا .. فَلَمَّا رأتْ أنه قد شَبِعَ ، وأصابَ منها ، قالت : **يَا أَبَا طَلْحَة ، أَرَأَيْت لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا أَهْل بَيْت عَارِيَة ، فَطَلَبُوا عَارِيَتهمْ ،**

---

[١] تبعل : تَزيُّن وتعطُّر .

[٢] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قَالَ : لا .. قَالَتْ : فَاحْتَسبْ ابْنك [1] .. قال : **إِنَّا لله ، وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** .. وخرج إلى المسجد كَاظمًا غَيْظَهُ فَلَقِى رسولَ الله (ﷺ) فأخبره بموت ابنه ، فقال النبى (ﷺ) : (**فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبكُمَا ؟**) .. قَالَ : نَعَمْ .. فقَالَ : (**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**) .. وتَحْمِلُ المرأة ، وتَلد غلامًا ، يصبح من العلماء الصالحين ، ويُنْجِبُ تسعةً من الأبناء ، كُلُّهُم قد حَمَلَ القرآن والعِلْمَ .. ينشرونه فى الآفاق ، وتتحقق نبوءة الرسول (ﷺ) : (**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**)[2] ..

هذا .. ومن أسوأ ما أعتاده بعض الرجال أن يَحْلِفُوا بالطلاق فى الأمور التافهة ، مثل التبايع ، أو لإبقاء الضيف للطعام ، أو المبيت .. وما إلى ذلك ، مما قد يوقعهم فى المحظور ، فقد تُطَلَّقُ الزوجة دُون أن تَدْرِى ، ويصبح الإثم على الرجل فى حياة مُحَرَّمَةٍ تُنتج أولادَ سِفَاحٍ ، يكونون وَبَالاً على أبيهم فى كِبَرِهِ .. كما أن الزوج الذى يسوس امرأته بالتهديد بإيقاع الطلاق آثِم ، وضعيف الشخصية ، ومخالف لِسُنَّة الرسول (ﷺ) .. فما حدث أن حَلَفَ النبى (ﷺ) بالطلاق على إحدى نسائه مطلقًا لتفعل شيئًا ، أو لتمتنعَ عن فِعْلِ شىءٍ ، وأقصى ما فعله حين اجتمعن عليه فى طلب زيادة النفقة أن غاضبهن شهرًا اعتكفه فى مسجده ، وخَيَّرَهُنَّ – بأمر الله له – بين الحياة معه فى زُهدٍ ، وَتَقَشُّفٍ ابتغاء مرضاةِ الله .. وبين التسريح بالمعروف ، مع التَّمتِيعِ [3] ، فاخترنَ كُلُّهنَّ الحياة معه ابتغاء ما عند الله ، وذلك حين نزل قول الله عز

---

[1] أى : اطلب ثوابَ مُصيبتك فى ابْنِكَ الذى كان عَارية من الله تعالى .
[2] رواه أحمد والبخارى ومسلم .
[3] متعة الطلاق : ما يوهب للمطلقة إرضاء لها .

وجل : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)[1] ..

والزوجة التى تطلب الطلاق من زوجها دون مُبَرِّر مقبول آثِمةٌ فى حق نَفْسِها ، مُغْضِبَةٌ لِرَبِّها .. أما تلك التى تحاول بذلك اختبار منـــزلتها عند زوجها فهى جاهلة ، تلعب بالنار .. فكثرة طلب الطلاق قد تجعل الزوج يُلَبِّى طلبها ، فتندم على ذلك طول عمرها .. والزوجة التى تَمْتَنع عن زوجها إذا طلبها لنفسه تبيت تلعنها الملائكة حتى تصبح .. وعليها أن تستجيب له فى ذلك وقتما يشاء .. وعلى الزوج أن يعلم أن من أشَدِّ الأمور التى تكرهها الزوجة أن يبخل زوجها عليها بماله ، أو بحنانه ، أو بوقته ، فهى تحتاج إلى من يُؤنسها ، كما يحتاج هو إلى من يُؤنسه .. وعليه أن يتجمَّل لها كما يُحب أن تتجمَّل هى له .. وعليهما معًا أن يكون التفاهم بينهما قائمًا فى كل الأمور ، خاصة أسلوب تربية الأولاد ، وليمتنعا تمامًا عن الخلاف ، أو الشجار أمام أبنائهما ، وليتعوَّدا أن تكون مناقشة الخلافات وحلّها محصورة فى حجرة نومهما ، ولا تتعدى باب الحجرة منذ البداية ، وليحذر كل منهما أن يشكو الآخر ، أو يذيع سِرَّه للأهل ، أو الأصدقاء ، أو الجيران .. كما يحرم على الرجل أن يَصِفَ امرأته ، أو يتكلم عن كيفية تصرفها معه فى فِرَاشِه ، أو أن يَذْكُرَ عيوبـــها الْخِلْقِيَّة ، أو الْخُلُقِيَّة لأحد من الناس ..

---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

هذا .. وقد كان الصحابة والصحابيات (رضوانُ اللهِ عليهم) ، يَعظُونَ بناتهم عند الزواج ، ويقدمون لهن النُّصْحَ ، حتى يَسْعَدْنَ فى حَيَاتِهِنَّ مع أزواجهن ، ويأمرونهن بخدمة الزوج ، ورعاية حَقِّه ، الأمر الذى نفتقده فى عصرنا هذا .. وإليك أمثلة لهذه النصائح :

خطب أحدُ الرجال فتاةً .. ولما حان زفافُها إليه خَلَتْ بها أُمُّها « أُمَامَةُ بِنْتُ الحَارِثِ » فَأَوْصَتْهَا وَصِيَّةً تُبَيِّنُ فيها أُسُسَ الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب عليها لزوجها فقالت :

أىْ بُنَيَّةُ : إنَّ الوَصِيَّةَ لو تُرِكَتْ لفَضْلِ أدبٍ لَتَرَكْتُ ذَلِكَ لَكِ ، ولكنها تَذْكِرَةٌ لِلْغَافِلِ ، ومَعُونةٌ لِلْعَاقِلِ .. ولو أنَّ امرأةً اسْتَغْنَتْ عن الزَّوْجِ لِغِنَى أبَوَيْهَا ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتِ أغْنَى الناسِ عَنْه ، ولكنَّ النساءَ للرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ ..

أىْ بُنَيَّةُ : إنَّكِ فَارَقْتِ الجوَّ الذى منه خَرَجْتِ ، وَخَلَّفْتِ العُشَّ الذى فيه دَرَجْتِ ، إلى وَكْرٍ لم تَعْرِفِيهِ ، وقَرِينٍ لم تألَفِيهِ ، فأصبحَ بِمُلْكِه عليكِ رَقِيبًا وَمَلِيكًا ، فكونى له أمَةً ، يَكُنْ لَكِ عبدًا وشِيكًا ، واحْفَظِى له **خِصَالاً عشرًا** ، يَكُنْ لكِ ذُخْرًا :

أمَّا الأولى والثانية : فالْخُشُوعُ له بالقَنَاعَةِ ، وحُسْنُ السَّمْعِ لَهُ والطَّاعَة ..

وأما الثالثة والرابعة : فالتَّفَقُّدُ لِمواضِعِ عَيْنِهِ وأنْفِهِ ، فلا تقع عينُه مِنْكِ على قَبِيحٍ ، ولا يَشُمُّ مِنْكِ إلا أطْيَبَ رِيحٍ ..

وأما الخامسة والسادسة : فالتَّفَقُّدُ لوقتِ مَنَامِهِ وطَعَامِهِ ، فإنَّ تَوَاتُرَ الْجُوعِ مَذْهَبَةٌ ، وَتَنْغِيصَ النَّومِ مَغْضَبَةٌ ..

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراسُ بمالِهِ ، والإرْعَاءُ على حَشَمِهِ وعِيَالِهِ .. وملاكُ الأمر فى المال : حُسْنُ التَّقْدِيرِ ، وفى العِيَال : حُسْنُ التَّدْبِيرِ ..

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تَعْصِينَ له أمرًا ، ولا تُفْشِينَ له سِرًّا .. فإنك إن خَالَفْتِ أمْرَهُ ، أوْغَرْتِ صَدْرَهُ ، وإن أفْشَيْتِ سِرَّه ، لم تَأمَنِى غَدْرَهُ .. ثُمَّ إيَّاكِ والفرحَ بينَ يَدَيْهِ إن كان مُهْتَمًّا ، والكآبةَ بين يَدَيْهِ إنْ كَانَ فَرِحًا ..

وقد أوصى « عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب » ابنته فقال : **إيَّاكِ والغَيْرَةَ ، فإنــها مِفْتَاحُ الطَّلاقِ .. وإيَّاكِ وكثرةَ العَتْب ، فإنه يُورِثُ البَغْضَاءَ .. وعليكِ بالكُحْلِ ، فإنه أزْيَنُ الزِّينَةِ .. وأطْيَبُ الطِّيبِ الْماءُ ..**

وقد قال « أبو الدَّرْدَاءِ » لامرأته : **إذا رَأَيْتِنى غضبْتُ فَرَضِّينِى .. وإذا رَأَيْتُكِ غَضْبَى أَرْضَيْتُكِ ، وإلا لم نَصْطَحِبْ ..**

وقال غيره لزوجته :

خُذِى العَفْوَ مِنِّى تَسْتَدِيمِى مَوَدَّتِى ... ولا تَنْطقِى فى سَوْرَتِى حين أغْضَبُ
ولا تَنْقُرِينِى نَقْــرَكِ الدُّفَّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تَدْرِيــنَ كَيْفَ الْمُغَيَّبُ
ولا تُكْثِرِى الشَّكْوَى فتذهبَ بالقوى ... ويأباكِ قلبــى والقُلُــوبُ تُقَلَّبُ
فإنِّى رأيْتُ الْحُبَّ فى القَلْبِ والأذى ... إذا اجتمَعا لم يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

وهكذا نرى كيف كانت النصائح ، وكيف كان اهتمام الآباء والأمهات بتوفير السعادة لبناتــهن ..

تَرْبِيَةُ الأبْنَاء

يقول الحقُّ تبارك وتعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ)[1] .. وبهذه الآية الكريمة أوصى الله تبارك وتعالى الآباء بالأبناء الذين تشملهم كلمة (أَهۡلِيكُمۡ) .. فَمَنْ أحبَّ أبناءه ، وعَلِمَ أنهم نعمة من الله خاف عليهم من النار ، وعذاب الجبار ، فأحسن تربيتهم ، ونشَّأهم على التقوى والصلاح ، كما أنه مسئول عنهم يوم القيامة ، إذ يقول النبى (ﷺ) : (**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**)[2].. ويقول : (**إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلٌ كُلَّ ذِي رَعِيَّةٍ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ : أَقَامَ أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ أَضَاعَهُ ؟ حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيُسْأَلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِه**)[3].. ولا شك أن مسئولية الأب والأم عن أولادهما تبدأ قبل الزواج ، إذ يجب على كل منهما اختيار شريك حياته اختيارًا سليمًا ، فالرَّجُل عليه أن يختار أُمَّ أولاده التى تصلح لتربيتهم تبعًا لوصية النبى (ﷺ) : (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا .. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**)[4] .. ويحدد (ﷺ) أوصافها كذلك بقوله : (**خَيْرُ فَائِدَةٍ اسْتَفَادَهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَ الإِسْلاَمِ : امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا**)[5] .. وكذلك على الفتاة أن تختار مَنْ سيصبح أبًا لأولادها من خلال

---

(1) سورة التحريم آية ٦ . (2) رواه البخارى كتاب الجمعة . (3) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .
(4) رواه مسلم كتاب الرضاع . (5) رواه ابن أبي شيبة كتاب النكاح .

وَصيَّة النبى (ﷺ) : (**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ** [١])[٢] ..

وقد أباح النبى (ﷺ) للرَّجُل أن ينظر إلى مَنْ يريد خطْبَتَها ، كما أعطى (ﷺ) الفتاة الحق فى القبول أو الرفض بقوله : (**لاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، وَلا الثَّيِّبُ** [٣] **حَتَّى تُسْتَأْمَرَ** [٤]) .. فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : (**إِذَا سَكَتَتْ**)[٥] ..

وعلى الأب أن يُراعى فى اختيار أسماء أولاده - التى سوف يُنَادَوْن بها فى الدنيا والآخرة - جمال المعنى واللفظ .. فإذا مَنَّ الله تبارك وتعالى على الزوجين بالذُّرِّيَّةِ ، فعليهما أن يتقبَّلا منحة الله بالشُّكْر والعِرْفان ، بغض النظر عن جِنْس المولود ، لأن الله تبارك وتعالى أعلم بمصالح عباده ، فمنهم مَنْ يصلح له الذكور ، ومنهم مَنْ يصلح له الإناث .. وهكذا ، وهو سبحانه القائل : (لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)[٦] ..

والذين يُرْزَقُونَ بالبناتِ فيعترضون على ذلك ، هم فى غفلة عن الخير الذى ينتظرهم إن تقبَّلوا نعمة الله بالرضا ، وأحسنوا تربيتهن ، فقد رُوِىَ عن السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أنها قالت : جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي ، فَلَمْ

---

(١) عريض : كبير .
(٢) رواه الترمذى كتاب النكاح .
(٣) الثيب : من سبق لها الزواج .
(٤) حتى تستأمر : أى أنه لا يعقد عليها حتى تأمر بذلك .
(٥) رواه البخارى كتاب الحِيَل .
(٦) سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا ، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ ، فَخَرَجَتْ .. فَدَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ : (**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا** [1] **مِنْ النَّارِ**)[2] .. ويقول (ﷺ) : (**مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ : يُؤْوِيهِنَّ ، وَيَرْحَمُهُنَّ ، وَيَكْفُلُهُنَّ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ**) .. قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ ؟ .. قَالَ : (**وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ**) .. فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً لَقَالَ وَاحِدَةً [3] ..

والعِنَايَة بالأولاد مسئولية مشتركة بين الأب والأم .. كل منهما يحمل نصيبه منها ، فالأم عليها : إرضاع طفلها من لبنها الذى خلقه الله .. وحِرْمَان الطفل من هذا اللبن حِرَمان له مِنْ رِزْقه ، يُعَرِّضُ الأم لِلْمُسَاءَلَة يوم القيامة .. ومدة الرضاع سنتان كاملتان كما أوصى الله تعالى بذلك ، ولبن الأم لا يعوضه أى غذاء آخر للأسباب الآتية :

١- درجة حرارة لبن الأم تساوى درجة حرارة الجسم ، فيتناسب ذلك مع معدة الطفل ، الأمر الذى لا يمكن ضبطه فى الرضاعة الصناعية .

٢- لبن الأم به مناعة يتزود بـها الطفل من خلال الرضاعة الطبيعية ، تَقِيه شَرَّ الأمراض المختلفة كالنـزلات المعوية .. وما إلى ذلك .

٣- لبن الأم يتغير تركيبه يومِيًّا حسب احتياج الطفل ونموه ، وهذا لا يمكن توافره فى الغذاء الصناعى .

---

[1] سِتْرًا : حِجَابًا .
[2] رواه البخارى كتاب الأدب .
[3] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

٤- الطفل وهو فى بطن أمه يتلقَّى غذاءه من خلال الحبل السُّرِّى غذاء مهضومًا لا يترك فضلات ، الأمر الذى يتطلب أن يكون غذاؤه بعد الولادة مناسبًا لجهازه الهضمى ، وذلك أمر لا يمكن تدبيره إلا بمعرفة الخالق سبحانه وتعالى .

كما أن إرضاع الأم لطفلها زَرْعٌ لِلْبِرِّ فيه ، لأنَّ الله تبارك وتعالى يقول : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)[1] .. واستخدام الثَّدْى فيما خُلِقَ له حِفْظٌ لشكله وسلامته ، لأن الشكر على النعمة يحفظها ، وشكر النعم بأن تُسْتَخْدَمَ فيما خُلِقَتْ له ، فلا يُصَابُ الثَّدْىُ بالأمراض التى نسمع بـــها فى عصرنا الحالى ، وما عَلِمَتْ بـــها أمهاتنا مِنْ قَبْلِ هذا ، بالإضافة إلى أن المجهود الذى يبذله الطفل فى الرضاعة يُفيده فى تمرين عضلات الوجه والعنق ، واليدين ، ويُعَوِّده من نعومة أظفاره أنه **لكى يحصل على الجود فلابد من بذل المجهود** ، بعكس الرضاعة الصناعية التى تجعل الطفل مستلقيًا على ظهره ، ينـــزل إليه غذاؤه ، دون مجهود منه ، ودون استمتاعه بدفء أمه ، واحتضانـــها له ..

وعلى الوالدين مراعاة الْحِكْمَة القائلة : (**لاعِبْ وَلَدَكَ سَبْعًا ، وَهَذِّبْهُ سَبْعًا ، وصَاحِبْهُ سَبْعًا ، ثُمَّ اتْرُكْ حَبْلَهُ على غَارِبِهِ**) .. فهو حينئذ يكون قد بلغ رُشْدَه ، وأصبح مسئولاً عن نفسه .. مع وجوب العلم بأن ضَرْبَ الأولاد فى سِنِّ الطفولة ليس من الإسلام فى شىء ، ونبيُّنا (ﷺ) يقول : (**مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**)[2] ..

---

[1] سورة الكهف آية ٣٠ .   [2] رواه أبو داود كتاب الصلاة .

ومعنى ذلك أن الضرب لا يكون إلا بعد سِنِّ العاشرة : ضربًا غير مُبَرِّحٍ ، وعلى الصلاة التى هى عِمَاد الدين ، فمن باب أَوْلَى ألا يُضرب الطفل على أمور أقل من ذلك فى الأهمية ، أو قبل سِنِّ العاشِرَة ، إذ يبدأ التمييز عند الأطفال فى سِنِّ السابعة ، ويكتمل فى سِنِّ العاشِرَة .. وعلى الأم أن لا تملّ من حمل طفلها ، وهَدْهَدَته ، وكذلك الأب .. وقد ضرب النبى (ﷺ) المثل لأُمَّته فى الحنان ، ووجوب رعاية الأطفال .. فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : **رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَؤُمُّ النَّاسَ ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ – وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ (ﷺ) – عَلَى عَاتِقِه ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا** [1] .. ويقول (ﷺ) : (**إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي ، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ** [2] **أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه**)[3] ..

هذا .. ويقول الرسول (ﷺ) : (**مَا نَحَلَ** [4] **وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**)[5] .. ومن ثَمَّ فإنه يجب تربية الأولاد على البرِّ ، والصِّدْق ، والطاعة ، والمروءة ، والأمانة ، والتعاون ، والإخاء ، والإيثار ، وجميع الأخلاق الكريمة التى أوْصَى بـــها نبيُّنا (ﷺ) ، مع العِلْم بأن خير التربية وأفضلها القدوة الحسنة ، فالولد من عمل أبيه ، بدليل قول الرسول (ﷺ) : (**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**)[6] ..

---

[1] رواه مسلم كتاب المساجد . [2] وجد : حزن . [3] رواه البخارى كتاب الأذان .

[4] النحلة : العطية بلا مقابل . [5] رواه الترمذى كتاب البر والصلة . [6] رواه مسلم كتاب الوصية .

والتربية الصالحة تُثْمِر فى الدنيا بِرًّا بالوالِدَين ، فيجد الوالدان فى كِبَرِهما ، وشيخوختهما حصاد ما زرعاه فى أبنائهما ..

ونحن نلاحظ فى عصرنا الحالى شدة اهتمام الآباء بتعليم الأبناء ، والإنفاق عليهم فى المدارس الخاصة ، وفى الدروس الخاصة ، وإشراكهم فى النوادى المختلفة ، والاهتمام بملابسهم .. وما إلى ذلك ، وفى الوقت نفسه يغفلون عن تعليمهم قواعد دينهم الحنيف ، الذى يحفظهم فى الدنيا والآخرة ، ويعود بالنفع والخير على الوالِدَيْنِ .. والبعض يلقى باللائمة على المجتمع ، أو المدرسة ، أو أصدقاء السوء ، واللوم واقع على البيت بالدرجة الأولى ، ففيه ينشأ الطفل ، ويُقَلِّد أَبَوَيْهِ ، ويتلقى منهما مبادئ السلوك ، والأخلاقيات : سليمة كانت أو منحرفة .. وتتضح مسئولية الأبوين كاملة فى قول النبى (ﷺ) : (**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ : فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**)[1] .. وما الشرائع إلا مجموعة من الأخلاقيات والسلوكيات التى يمكن غرسها فى الأطفال منذ نُعُومَة أظافرهم .. وقديمًا قالوا : (**التعليمُ فى الصِّغَرِ كالنَّقْشِ فى الْحَجَرِ**) ..

فعلى كل والد ووالدة أن يتَّقوا الله عزَّ وجلَّ فى أولادهم ، فإنـــهم نِعْمَة يَجِبُ الحفاظ عليها ، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : (ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)[2] .. والأولاد كذلك امتحان للوالِدَيْنِ ينجحان فيه ، أو يرسُبَانِ ، فمن نجح نال الخير العظيم فى الدنيا ، والثواب الجزيل فى الآخرة .. ومن رَسَبَ باءَ بالحسرة فى

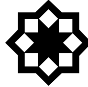
---

[1] رواه البخارى كتاب الجنائز .　　[2] سورة الكهف آية ٤٦ .

الدنيا ، والعقاب فى الآخرة .. لأن الله تبارك وتعالى يقول : (إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[1] ..

وسُنَّة رسول الله (ﷺ) حافلة بالإرشاد فى تربية الأولاد ، وكيفية تَنْشِئَتِهِمْ على مبادئ الإسلام ، فلا حُجَّة لِمُقَصِّرٍ أو مُهْمِلٍ .. فمنها على سبيل المثال : أمره بالتفريق بين الأولاد فى المضاجع فى سِنِّ السابعة ، وأمره بالعدل بين الأبناء فى المنح والعطايا : (**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ**)[2] ..

وهكذا فى كل أمر من أمور التربية نجد توجيهًا قوليًّا ، أو توجيهًا فِعْلِيًّا .. فعلينا بالرجوع إلى سُنَّتِهِ (ﷺ) ، حتى نفوز بالخير العظيم فى الدنيا والآخرة ..



(١) سورة التغابن آية ١٥ .
(٢) رواه البخارى كتاب الهبة .

النَّظَافَة

النظافة من الإيمان .. والنظافة خُلُقٌ يَتَخَلَّق به المسلم ، إذ يتعوَّد النظافة فى صِغَرِه ، حتى تصبح خُلقًا ، لا مجرد عادة .. فهى كما تكون فى الملابس ، والأجساد ، والأماكن ، تكون أيضًا فى السلوك ، والأخلاق .. ولو أَمْعَنَّا النظر فى أمور الشرع الحنيف لوجدنا النظافة تحتل جزءًا كبيرًا منه .. **فالوضوء** ما هو إلا النظافة والْحُسن .. يقال : « وَضُؤَ يَوْضُؤُ وُضوءًا ووَضاءَةً » : أى صار نظيفًا حسَنًا .. وفى الشرع الوضوءُ : غسلُ أعضاءٍ غالبًا ما تكون مُعَرَّضَة للأَتْرِبَة والتلوث .. والأمر بالوضوء للصلاة التى تُؤَدَّى خمس مرات فى اليوم يبين أهمية النظافة المستمرة ، والنبى (ﷺ) يقول : (**لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ**)(١) .. ويمر يومًا على أصحابه ، فيراهم يتعجلون فى وضوئهم ، ولا يُحْسِنُون غَسْل أقدامهم ليدركوا الصلاة فى وقتها ، وكانوا على سفر ، فينادى بـهم قائلاً : (**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**)(٢) ، وأخذ يُكَرِّرُها حتى يُتْقِنُوا غسل أقدامهم مهما ضاق الوقت عن الصلاة .. وتأكيدًا لأهمية الوضوء يقول (ﷺ) : (**الْوُضُوءُ شَطْرُ الإِيمَانِ**)(٣) ..

ومن أوامر الإسلام : **الاستنجاء** ، وإزالة النجاسة عن القُبُل والدُّبُر .. وانتقاض الوضوء بخروج شىء من السبيلَيْن يجعل الإنسان يتأمل فى ذلك ، إذ إن الأعضاء المأمور بغسلها بعيدة عن مكان خروج الفضلات ، وقد كان من الممكن الاكتفاء بتطهير وتنظيف أماكن خروج النجاسة ، ولكن أوامر الشرع لا تُؤْخَذ بالعقل ، إنما

(١) رواه البخارى كتاب الصوم . (٢) رواه البخارى كتاب العلم . (٣) رواه الترمذى كتاب الدعوات .

تُؤْخَذ بالنقل ، فالهدف هو الطاعة أولاً ، والنظافة ثانيًا .. وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : **كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَوِ اغْتَسَلْتُمْ !!** [1] .. والقائل طبعًا هو رسول الله (ﷺ) .. وقد أوصى النبى (ﷺ) باغتسال يوم الجمعة ولبس الثياب النظيفة قبل الذهاب إلى المسجد ، فقال : (**الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**)[2].. ويوصى بالاستحمام مرة فى كل جمعة على الأقل ، كما يُنَبِّه إلى قصّ الأظفار ، وتنظيف ما بين أصابع اليدين ، والقدمين ، وإزالة شعر الإبط ، والعانة ، وهى أماكن تُشَكِّل بيئة صالحة لنمو الجراثيم ، كما أثبت العِلْمُ بعد قرون من الإسلام .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)[3] .. والخطاب لكل مَنْ يريد الصلاة فى المساجد ، وقال بعض العلماء : بل لكل مَنْ يريد الصلاة سواء فى المسجد ، أو فى البيت .. وقد شَرَع الله تبارك وتعالى الاغتسال من الجنابة ، كما شرع الاغتسال من الحيض والنفاس للمرأة .. وأمر باعتزال النساء فى المحيض .. وكذلك سَنَّ النبى (ﷺ) الاغتسال للإحرام بالحج ، أو العُمرة ، وكذلك الاغتسال للتحلل منهما بعد أداء المناسك .. والأمر بختان الصبيان ما هو إلا للنظافة .. وقد كان (ﷺ) لا يفارقه فى سَفَرِهِ : المشط ، والمكحلة ، والطيب ، وكان يأمر بغسل شعر الرأس ، وتمشيطه ، وينصح الرجال بالتزيُّن لنسائهم ، كما يحبون أن تتزيَّن لهم نساؤهم .. وقد جاءه رجل يومًا فرآه رثَّ الثياب فسأله إن كان له مال ، وحين علم منه أنه ذو مال قال

---

[1] رواه البخارى كتاب البيوع . [2] رواه البخارى كتاب الأذان . [3] سورة الأعراف آية ٣١ .

له : (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**)[1] .. ولو تأمَّلنا فى كل ما حَكَمَ الإسلام بنجاسته ، لوجدنا أنه مُسْتَقْذَرٌ أصلاً : فالبول ، والبراز ، وروث البهائم ، والدم كلها نجسة ، وكلها مُسْتَقْذَرَاتٌ بحكم الفطرة ..

وتتضح أهمية النظافة من قول الحق تبارك وتعالى : (وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ)[2] .. كما كان الأمر بالنظافة من أول الأوامر التى أوصى الله بها خاتم المرسلين (ﷺ) إذ يقول له : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ)[3] .. وقد أمر الإسلام بنظافة البدن ، والثياب ، والمكان ، إذ إن طهارة مكان الصلاة شرط لِصِحّةِ الصلاة .. وكان على عهد رسول الله (ﷺ) امرأة سوداء تُنَظِّفُ المسجد ، متطوعة بذلك ، وهى امرأة مجهولة لم تذكر كتب السيرة اسمها ، ولم يكن أحد يهتم بها .. فافتقدها رسول الله (ﷺ) يومًا فسأل عنها ، فقيل له : إنها ماتت بالأمس ودُفِنَتْ .. فقَالَ : (**أَفَلا آذَنْتُمُونِي ؟!**) .. قالوا : ماتت من الليل فكرهنا أن نوقظك .. فقال : (**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**)[4] .. فدلُّوه على قبرها ، فذهب إلى القبر ، وصَلَّى عليها صلاة الجنازة .. مما يبين أهمية ما كانت تقوم به تلك المرأة من عمل ألا وهو تنظيف المسجد ، إذ إن نظافته أهم من نظافة أى مكان ، فهو بيت الله الذى يجب على كل مسلم مراعاة نظافته ، والحفاظ عليها .. وقد كَرِه العلماء الأكل

---

(1) رواه الترمذى كتاب الأدب . (2) سورة البقرة آية ١٢٥ . (3) سورة المدثر الآيات من ١ : ٥ .

(4) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .

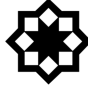
والنوم فى المساجد لغير المعتكف .. فإذا انتقلنا إلى الطرقات وجدنا أن نظافتها من الأمور المطلوبة ، والتى حَثَّ عليها الإسلام ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخَّرَهُ** (١) ، **فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ**) (٢) .. فإن كان الأمر كذلك .. فلابد أن يُؤَاخَذَ إذا وضع غصن الشوك فى طريق الناس ، فبضدها تتميز الأشياء .. ويقول النبى (ﷺ) : (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِي جَارَهُ**)(٣) .. ولا شك أن القَاذورَاتِ والقمَامةَ – التى يلقيها البعض فى الطريق العام ، وما يطرحونه من النَّوافِذ والشُّرَف بين البيوت – هو مما يؤذون به الناس فيتعرضون للمُؤَاخَذَة والعقاب ، بالإضافة إلى انتشار الحشرات الناقلة للأمراض ، والأوبئة .. وقد أمر النبى (ﷺ) بتغطية الطعام والشراب فقال : (**غَطُّوا الإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا** (٤) **السِّقَاءَ**)(٥) .. كما سَنَّ لنا غسل اليدين قبل الطعام وبعده .. وتنظيف الفم والأسنان .. والتطيُّب ، وإزالة الروائح الكريهة ، والْمُحَافَظَة على المظهر .. وأباح لنا التزيُّن وقال (ﷺ) : (**كُلُوا ، وَاشْرَبُوا ، وَالْبَسُوا ، وَتَصَدَّقُوا ، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ، وَلاَ مَخِيلَةٍ** (٦))(٧)..

وقد كان (ﷺ) مثالاً فى النظافة ، والطهارة ، وحسن المظهر ، وطيب الرائحة .. وكان – من حرصه على طيب رائحته – لا يأكل الثوم النَّيِّئ ، ولا البصل أبدًا ، حتى تبقى رائحة فمه طيبة ، وكان ينهى أصحابه عن الذهاب إلى المسجد إذا أكلوا

---

(١) أخَّره : أبعده عن الطريق . (٢) رواه البخارى كتاب الأذان . (٣) رواه البخارى كتاب النكاح .
(٤) أوكوا : اربطوا وشدوا . (٥) رواه مسلم كتاب الأشربة . (٦) مخيلة : فخر وتكبر .
(٧) رواه البخارى كتاب اللباس .

من هذه الأصناف حتى لا يُؤذوا المصلين برائحة أفواههم ، وقد سار أصحابه (رضوان الله عليهم) على نَهْجِه ، وكذلك التابعون حتى أصبح الإسلام عنوانًا للنظافة فى البلاد التى دخلها ، وكان من سِمَات المسلمين المميَزة نظافة أبْدَانِهم ، وثِيابِهم ، وأماكن تواجدهم ، فعمرت البلاد ، وانتشرت الحضارة الإسلامية فى ربوع الأرض ، إذ إن النظافة : (ألف باء) التحضّر ، والحفاظ على الصحة الخاصة والعامة ، وعلى ما بأيدينا من نِعَم ..



الْحَيَــاء

« الحياء » : هو انْقِبَاض النَّفْسِ عن كل قبيح .. وهو خُلُقٌ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عن فعل ما قد يُلاَمُ عليه .. و« الحياء » فضيلة من فضائل الفطرة ، يُشْعِرُنَا به قول الحق - تبارك وتعالى - حكايةً عن « آدم وحواء » حين أكلا من الشجرة ، فبدت لهما سوءاتــــهما : (فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ)[1] .. وقد فَعَلا - عليهما السلام - ذلك بالفطرة لستر العورة التى انكشفت بالأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة .. و« الحياء » من الإيمان لقول النبى (ﷺ) : (**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً .. فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**)[2] .. ومهما زاد الحياء فى شخص فهو خير له .. فلا حدود للحياء ، لقول النبى (ﷺ) : (**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**)[3] .. وقد مَرَّ (ﷺ) على رجل من الأنصار وهو يَعظُ أخاه فى الحياء - أى يعاتبه على شدة حيائه - فقال (ﷺ) له : (**دَعْهُ .. فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**)[4].. ويقول (ﷺ) : (**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**)[5].. ويُنَبِّهُ (ﷺ) على أهمية الحياء فيقول : (**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**)[6] .. والاستحياء يكون إما من الله ، وإما من الناس ، وإما من النَّفْس : فيستحي الإنسان من نفسه ، فلا يفعل فى خلوته ما يستحي أن يفعله أمام

---

(1) سورة الأعراف آية ٢٢ . (2) رواه مسلم كتاب الإيمان . (3) رواه مسلم كتاب الإيمان .
(4) رواه البخارى كتاب الإيمان . (5) رواه البخارى كتاب الأدب . (6) رواه البخارى كتاب الأدب .

الناس .. ويقول (ﷺ) لأصحابه يومًا : (**اسْتَحْيُوا منَ اللَّه حَقَّ الْحَيَاء**) .. قالوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للَّه .. قَالَ : (**لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكنَّ الاسْتحْيَاءَ منَ اللَّه حَقَّ الْحَيَاء : أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبلَى .. وَمَنْ أَرَادَ الآخرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا .. فَمَنْ فَعَلَ ذَلكَ فَقَد اسْتَحْيَا منَ اللَّه حَقَّ الْحَيَاء**)[1] ..

وقد شرح العلماء معنى الحياء من الله فقالوا : **هو ألا يَفْقدَكَ الله حيثُ أمَرَك ، وألاَّ يَجدَكَ حَيثُ نَهَاكَ** .. **والرأس** : يشمل الوجه الذى هو مجمع الحواس ، ففيه : البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، كما يشمل المخيلة والذاكرة .. و**حفظ الرأس وما وعى** : هو عدم شغل الإنسان نفسه بما لا يعنيه ، وعدم مراقبة الناس ، أو التجسس عليهم : بالعين ، أو الأذن ، أو ذكر مساوئهم بلسانه ، أو استخدام حواسه فيما لم تُخْلَقْ له ، فإن من يتتبَّعْ ما يرى فى الناس يَطُلْ حزنه .. والله تبارك وتعالى لَم يُسَوِّ بين العقول ، ولَم يُمَاثل بينها ، ومِنْ ثَمَّ فيجب ألا يشغل الإنسان نفسه بتصرفات الآخرين ، فهى من حصائد عُقُولهم .. وعقل الإنسان محسوب عليه من رزقه .. كما لا يصح أن ينشغل الإنسان بغده .. فالله تبارك وتعالى يقول : (وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)[2] .. وقد ذكرت الآية أمرَيْنِ ، وهما أهم ما فى الحياة : الرزق ، والموت .. أما الرزق فقد تكفل الله به إذ يقول : (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)[3] ..

---

(١) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة . (٢) سورة لقمان آية ٣٤ . (٣) سورة الروم آية ٤٠ .

ويقول لحبيبه المصطفى (ﷺ) : (لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ)[1] .. ويبين الحق تبارك وتعالى أن أمر الرزق بيده ، وأنه مُقَدَّر ومكتوب فيقول : (وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)[2] .. وأما الموت والأجلُ فهذا أيضًا قد أخفاه الله عن الناس ، بل أخفى موعده ومكانه بقوله : (وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)[3] .. ويبين أن الموت ليس لِهَارِبٍ منه نَجَاءٌ فيقول سبحانه : (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)[4] .. كما يُبَيِّن أن الموت وقت مُؤجَّل ، وأن تحديد الأجَلِ بيده فيقول عز وجل : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)[5] ..

وعليه فلا يجب أن يشغل الإنسان نفسه بالرزق أو بالأجل ، فتلك أمور قد تَكفَّل الحق – تبارك وتعالى – بـــها .. بل عليه أن ينشغل بتحسين علاقته بالله ، والتَّفكُّر فى آلائه وآياته .. ويتضح ذلك جَلِيًّا فى قول الله عز وجل : (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[6] .. وقد سأل رجلٌ رسولَ الله (ﷺ) فقال : مَتَى السَّاعَةُ ؟ .. فقَالَ (ﷺ) : (**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟**)[7] .. فَبَيَّن (ﷺ) أن **التفكيرَ يَجِبُ أَن يكونَ فيما يجبُ على الإنسانِ ، وليسَ فيما كُتِبَ عليهِ** .. كما ينحى القرآن باللائمة على مَنْ يفكِّر فيما لا يَجِبُ بقوله : (بَلْ يُرِيدُ

---

(1) سورة طه آية ١٣٢ .
(2) سورة الذاريات آية ٢٢ .
(3) سورة لقمان آية ٣٤ .
(4) سورة النساء آية ٧٨ .
(5) سورة الأعراف آية ٣٤ .
(6) سورة هود آية ١٢٣ .
(7) رواه البخارى كتاب المناقب .

ٱلۡإِنسَـٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَـٰمَةِ)[1] .. كما لا يصِحُّ للإنسان أن يشغل فِكْرَه بتصرفات الآخرين ، أو يفكر فى إيذائهم ، والإيقاع بِهم ، أو التجسُّس عليهم ، أو إساءة الظن بـــهم ، أو استخدام حواسه فيما لا يجب ، حتى يحفظ الرأس وما وعى .. وأما حِفْظُ البطن وما حوى : فهو إشارة إلى السيطرة على شَهْوَتَى البَطْن والفَرْج ، فلا يأكل إلا من حلال .. وقد رُوِىَ أن سَعْد بن أبي وَقَّاص (رضي الله عنه) قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .. فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**يَا سَعْدُ ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**)[2] .. ويبين (صلى الله عليه وسلم) أن مَنْ يأكل من حرام تُغْلَق فى وجهه أبواب السماء ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : **أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا .. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ** : (**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**) ، **وَقَالَ** : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**) .. **ثُمَّ ذَكَرَ** (صلى الله عليه وسلم) **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ ، أَشْعَثَ ، أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ** : (**يَا رَبِّ .. يَا رَبِّ**) ، **وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ – فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟!** [3] .. وحِفْظُ الفَرْجِ عن الحرام من أهم الأمور التى نَبَّهَ الله تبارك وتعالى عليها بقوله : (قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِمۡ

---

(1) سورة القيامة الآيتان ٥ ، ٦ . (2) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط . (3) رواه مسلم كتاب الزكاة .

وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)[١] .. ويُثْنِى سبحانه وتعالى على المستجيبين لأمره بقوله : (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)[٢] .. ومن العَجَب أن تتكرر الآيتان نفسهما بالنص فى سورة المعارج (الآيتان ٢٩ ، ٣٠) .. وهذا يؤكد أهمية حِفْظ الفَرْج الذى به تُحْفَظ الأنساب ، بالإضافة إلى ما جاء فى القرآن من النهى عن الزِّنا ، أو مُقدِّماته ، والوعيد عليه بأشَدِّ العذاب فى أكثر من موضع ..

وأما ذِكْر الموت والبِلَى .. فقد قيل : **مَنْ أرادَ واعظًا فالْمَوْتُ يَكْفيه** .. وتَذَكُّر الموت من أهم الأمور التى تقى الإنسان الوقوع فيما يُغْضِب الله ، وقد كان ذكر الموت ، وما يعقبه من أهم ما امْتَنَّ الله به على الْمُخْلَصِينَ مِنْ عباده ، إذ يقول سبحانه : (وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ)[٣].. والبِلَى : هو الفناء ، وتَذَكُّرُ البِلَى معناه : أن يَتَيَقَّنَ الإنسان أن كل ما على الأرض إلى زوال : فلا يَتَمَسَّك به ، أو يتصارع من أجله ، فَجَسَدُه إلى فناء بما أكل ، وما لبس فى دنياه ، والحق – تبارك وتعالى – يقول : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)[٤] .. وذِكْر الموت والبِلَى يجعل الإنسان يتذكر وقوفه بين يدى الله يوم القيامة ، وسؤاله : عما

[١] سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ . [٢] سورة المؤمنون الآيتان ٥ ، ٦ . [٣] سورة ص الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
[٤] سورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

فعل ، ومن أين اكتسب ، وفيمَ أنفق ، وفى أى شيءٍ أفْنَى عمره وشبابه ، فيستحيى من الله أن تكون إجاباته مُخْزِية له غير مُرْضِيَة لله .. **والحياء من الناس** : أن تراعى فى تصرفاتك ، وكلامك مع الآخرين أن لا تخدش حياءهم ، أو تجرح إحساسهم ، أو تمس شعورهم ، وقد رُوِىَ عن رسول الله (ﷺ) أنه لم يواجه أحدًا بِمَا يكرهه .. وكان أشد حياء من العذراء فى خِدْرها .. وكان يقول (ﷺ) : (**الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ .. وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**)[1] .. ويقول (ﷺ) : (**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ حَيَاءَ لَهُ**)[2] .. وانعدام الحياء من الناس من أهم الأسباب فى تَفَشِّى المعاصى ، والمجاهرة بـــها ، ويحذِّر النبى (ﷺ) هؤلاء الذين فقدوا حياءهم فيقول : (**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ**)[3] .. أى إن مَنْ استحيى من الناس ، فأخفى معاصيه عنهم قد يكون قريبًا من توبة الله عليه .. أما من جهر بمعصيته ، فهو محروم من عَفْوِ الله تبارك وتعالى ، ومحروم من العافية ، ومُعَرَّض للفضيحة ، والْخِزْى ، والعار .. ومن الحياء أن لا تطلع على عورات الناس ، ولا تطلعهم على عورتك .. والنساء اللاتى فقدن الحياء ، فكشفن ما يجب ستره من عَوْرَاتهن ، مُهَدَّدات بالحرمان من الجنة ، بل من شَمِّ ريحها ، إذ يقول النبى (ﷺ) : (**صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ : نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ [4] مَائِلاتٌ [5] مُمِيلاتٌ [6] ، عَلَى**

---

[1] رواه الترمذى كتاب البر والصلة . [2] رواه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق .

[3] رواه البخارى كتاب الأدب . [4] كاسيات عاريات : ثيابَهن شفافة تصف ، أو محسورة لا تستر.

[5] مائلات عن الحق .. أو : مائلات يمشين بتبختر وميوعة .

[6] مميلات لأكتافهن أثناء المشى ، ومميلات للناظر إليهن .

رُءُوسهِنَّ أَمْثَالُ أَسْنمَة الإبِلِ ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا .. وَرِجَالٌ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَذْنَابِ [1] **الْبَقَرِ ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ)** [2] .. ويقول (ﷺ) : (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ)** [3].. ولفظ الزِّنا فى هذا الحديث من باب المجاز اللغوى للتحذير والتخويف مما يؤدى إليه تبرُّج النساء .. لقول ابن عباس (رضى الله عنهما) : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا ، أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ : فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ)** [4] ..

ومن الأفعال التى تخدش الحياء ، وتدل على انعدام الحياء فى مُرْتَكِبِيهَا ما نراه فى بعض الطرقات ، والأماكن من تصرفات بعض الشباب من الْجِنْسَيْن .. وكذلك ما نراه فى الأفلام والمسلسلات (من مشاهد خليعة وخارجة ، واحتساء للخمر ، وما إلى ذلك) دون حسيب أو رقيب ينهى عن ذلك مما يُعَرِّض الأمة للخطر فى الدنيا : بالانصراف عن العمل ، والإنتاج ، إلى ارتكاب الفواحش ، واللَّهو المحرَّم .. وكذلك يُعَرِّضها لغضب الجبار ، فقد أَهْلَكَ سبحانه وتعالى قوم « لوط » لأنهم جاهروا بالمعاصى كما يحكى القرآن عنهم فى قوله : (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ) [5] .. وعلى القائمين بالأمر أن يتقوا الله عز وجل فيما يُعْرَض على الناس فى وسائل الإعلام ، ويدخل عليهم بيوتهم ، فلا

---

[1] أذناب : ذيول . [2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين . [3] رواه أبو داود كتاب الزينة .
[4] رواه البخارى كتاب القدر . [5] سورة العنكبوت آية ٢٩ .

يستطيعون أن يمنعوا أبناءهم ، وبناتـــهم عنه ، وتذهب محاولاتـــهم فى التربية السليمة ، وغرس القيَمِ فى نفوس أبنائهم أدراج الرياح .. كما أن الفاحشة إذا ظهرت فى قوم عَمَّهُمُ الله بالبلاء ، وانتشرت الأمراض والأوبئة ، وزالت البركة من أرزاقهم ، وأُصيبوا بالقحط والمجاعة .. فرسول الله (ﷺ) يقول : (**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا .. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ** [1] **وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ** [2] **وَجَوْرِ** [3] **السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا .. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**)[4] ..

أما **الْحَيَاء من النفس** : فهو أن لا يكون فى خلوة الإنسان من الأفعال ما يستحيى أن يطَّلِع عليه الناس ، وأن يكون ظاهره كباطنه ، وسرُّه كجهره ، فالبِرُّ ما انشرح له الصدر ، وأحببت أن يطَّلِع عليه الناس .. والإِثمُ ما حاك فى الصدر ، وخشيت أن يَطَّلِعَ عليه الناس .. ومن الحياء من النفس أن لا تنهى عن شيء وأنت تفعله ، فقد قِيلَ : (**لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِىَ مِثْلَه .. عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ**) .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ

(١) السنين : الجدب والقحط . (٢) المئونة : التعب والثقل . (٣) الجور : الظلم ، والميل عن الحق .
(٤) رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

ٱلۡكِتَـٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [1] .. والنبى (ﷺ) يقول : (**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ** [2] **أَقْتَابُهُ** [3] **فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ** [4] **، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلانُ ، مَا شَأْنُكَ ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟! قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**)[5] ..

ويُعَلِّمُنا (ﷺ) الحياء فى خلوتنا مع نسائنا فيقول : (**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ ، وَلا يَتَجَرَّدْ تَجَرُّدَ الْعَيْرَيْنِ** [6])[7] ..

وقد رُوِىَ عن السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) كَانَ جَالسًا ، كَاشِفًا عَنْ فَخذه ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِه ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَاله ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ، فَأَرْخَى عَلَيْه ثيَابَهُ .. فَلَمَّا قَامُوا قالت : يَا رَسُولَ اللَّه ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَذنْتَ لَهُمَا ، وَأَنْتَ عَلَى حَالكَ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ أَرْخَيْتَ عَلَيْكَ ثيَابَكَ ؟! فَقَالَ : (**يَا عَائِشَةُ ، أَلا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ ، وَاللَّهِ ، إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ**)[8] ..

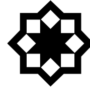
والحياء فى كل الأمور مطلوب إلا فى السؤال عن أمور الدِّين ، فلا حياء فى الدِّين ، ولا يصِحُّ أن يمنع الحياءُ إنسانًا أن يسأل عن دينه ، وقد جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى

---

[1] سورة البقرة آية ٤٤ . [2] تندلق : تقع وتسقط . [3] أقتابه : أمعاؤه وأحشاؤه .
[4] برحاه : بحجر الطاحون التى يديرها ، والمراد دورانه حول مربطه .
[5] رواه البخارى كتاب بدء الخلق . [6] العيرين : الْجَمَلَين . [7] رواه ابن ماجه كتاب النكاح .
[8] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

النَّبيِّ (ﷺ) فقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**نَعَمْ ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**)[١] .. وكانت « أم سلمة » (رضى الله عنها) جالسة فغطَّت وجهها ، وقالت : **فَضَحْتِ النِّسَاءَ** ، لكن النبى (ﷺ) لَم يُعَنّف المرأة على سُؤَالها .. وكذلك ورد أن امرأة سألت النبى (ﷺ) عن كيفية التطهُّرِ من الحيض فأجابـــها دون أن يعترض على سؤالها أو يُعَنِّفها عليه ..

ولبيان أهمية الحياء وخطورة عدم التَّخَلُّق به ، يقول (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا ، نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ مَقِيتًا مُمَقَّتًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ مَقِيتًا مُمَقَّتًا** [٢] **نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ خَائِنًا مُخَوَّنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ خَائِنًا مُخَوَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ رَجِيمًا** [٣] **مُلَعَّنًا ، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ رَجِيمًا مُلَعَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ** [٤] **الإِسْلامِ**)[٥] ..



---

[١] رواه مسلم كتاب الحيض . [٢] المقت : أشد البغض . [٣] رجيما : أى مرجومًا مطرودًا .

[٤] الربقة : طوق يُوضع فى عنق الدابة ، والمراد : العهد . [٥] رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

التَّواضُع

التواضُعُ هو أن تضع نفسك حيث يجب لها أن تُوضَع ، دون تكبُّرٍ وافتخار ، ودون ذِلَّة وهَوَان .. فالتواضع وسط بين الكِبْر وبين الذِّلَّة .. فالمؤمن ليس مُتَكَبِّرًا ، وليس ذَليلاً .. والتواضُع من خُلُق المرسَلين .. ويقول النبى (ﷺ) : (**مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً ، رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ .. وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً ، وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ**)[1] .. ويقول : (**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ .. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا .. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**)[2] .. ويأمر رَبُّنا تبارك وتعالى حبيبه المصطفى (ﷺ) بالتواضُع فيقول له : (وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)[3] .. ويُؤَكِّد عليه ثانية بقوله : (وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)[4] ..

والتواضُع زينة العلماء ، والكُبراء .. ويضرب لنا الإمام الأعظم « أبو حنيفة النعمان » مثلا رائعًا فى التواضع ، على رغم ما كان له من ذيوع صيت ، ورأى ثاقب ، وفقه عظيم ، فهو شيخ الأئمة ، وصاحب المذهب الذى اتَّبَعه كثير من الناس ، فقد ذهب لحج بيت الله الحرام .. وبعد ما فرغ من رمى الجمرة الكبرى جلس إلى حلاق ليحلق رأسه .. فيحكى ويقول : تَعَلَّمْت من حَلاَّق بمكة خمسة أشياء من النُّسُكِ : إذ أردت أن أحلق رأسى ، فسألته عن أجره ، فقال : لا تشارط على النُّسُكِ فإن الحلق

(1) رواه أحمد باقى مسند المكثرين . (2) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (3) سورة الحجر آية ٨٨ .
(4) سورة الشعراء آية ٢١٥ .

نُسُكٌ .. ثم يقول « أبو حنيفة » فجلست إليه كيفما اتَّفَق ، فقال لى : اتَّجه إلى القِبْلة .. فاتَّجَهْت إلى القِبْلَةِ ، وأعطيته شِقَّ رأسِى الأيسر .. فقال لى : أعْطِنِى شِقَّ رأسِكَ الأَيْمن .. فقد كان النبى (ﷺ) يُحِبُّ التيامُنَ فى كل شىء .. فأعطيته شِقَّ رأسى الأيمن ، وجلست ساكنًا .. فقال لى : اذْكُرِ الله تعالى فإنك فى نُسُك .. فَفَعَلْتُ .. وبعد ما انتهى الْحَلاَّق من عملِه قمت لأنصرف ، فقال لى : صَلِّ رَكْعَتَيْنِ .. ففعلت .. ثم سألته : من أين لك ما أمرتني به ؟ قال : رأيت « عَطَاء بن أبِى رَبَاح » يفعل هذا [(١)] ..

وهكذا نجد عظمة « أبى حنيفة » فى تواضُعه : كيف أنه لم يخجل من حكاية القصة للناس ، ضاربًا لهم المثل بنفسه ، مُعَلِّمًا إياهم كيف يكون التواضُع ..

ومن أمثلة التواضُع فى القرآن ما حُكِى عن سُلَيْمَان (عليه السلام) .. الذى لم يكن نبيًّا فقط ، بل كان مَلِكًا لم يحظ مَلِكٌ فى الوجود بمثل مُلْكِهِ .. فقد عُلِّمَ مَنْطِقَ الطير ، وسُخِّرَت له الشياطين ، وساد الإنس والجن جميعًا فى زمانه ، وسَبَّحت بتسبيحِه الجبالُ والطيور ، وسُخِّرت له الريح فكانت تحمله حيث شاء ، وتَأْتَمِر بأمره .. ومع كل ذلك الجاه والسلطان .. يحكى عنه القرآن مواقف تستدعى التأمل ، منها :

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ

---

(١) ذكره المحب الطبرى .

فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[1].. وهكذا نرى كيف تواضع لله .. و لم يَسْتَطِل بــهذه النعمة – وهى سماعه لحديث نَمْلَة وهو فى هذا الحشد الهائل من الْجُنْد – على أحد من رَعِيَّتِهِ ، و لم يتباه فيحدثهم عن ذلك .. وموقف آخر له ، حيث افتقد الْهُدْهُد ، و لم يجده فى مكانه ، من هذا الحشد الذى يصعب حصره ، فهدَّد وتوعَّد ، ولكنه فى تــهديده التمس الأعذار لهذا الْهُدْهُد .. ويحكى القرآن الكريم عن هذا الموقف بالقول : (وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ)[2]، وكأنه احتمل أمرين : الأمر الأول أن يكون قد أخطأ رؤية الْهُدْهُد ، والأمر الثانى أن يكون الْهُدْهُد قد تخلَّف عن مكانه ، وغاب عنه .. فنرى أنه قَدَّم احتمال عدم رؤيته للهُدْهُد على الاحتمال الآخر .. ومن مواقفه أيضًا ما يحكيه القرآن عن الحوار الذى دار بينه وبين الْهُدْهُد فى قوله تعالى : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[3] .. ولا شك أن الكلام يوحى بجرأة الْهُدْهُد ، واطمئنانه لعدل « سُلَيْمَان » وحِلْمِهِ .. فَمَنْ مِنَ الْمُلُوك والرؤساء يسمح لأحد من رعيته أن يقول له : (أحطت بما لم تُحِطْ به) ، فضلاً عن رؤساءِ المصالح ، والهيئات ، وغيرهم .. والكلام بين الْهُدْهُد و« سُلَيْمَان » تَمَّ أمام الرعية – ولو من الطيور على الأقل – ومع ذلك ، استمع له « سُلَيْمَان » حتى آخر كلامه ، ثم قال له كما يحكى القرآن : (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ)[4] .. بل وقدَّم الصدق على

---

[1] سورة النمل الآيات من ١٧ : ١٩ . [2] سورة النمل آية ٢٠ . [3] سورة النمل آية ٢٢ .
[4] سورة النمل آية ٢٧ .

الكذب تواضُعًا للهُدْهُد ، ولعدم اتـــهامه بغير دليل .. والأعجب من كل ذلك أن يكلِّفه هو نفسه بالذهاب بكتابه إلى الْمَلِكَة التى حكى عنها ، ويعود إليه بالخبر ، و لم يكلِّف غيره بتحَرِّى صدقه ، أو صدق القصة ، فقال له كما يحكى القرآن : (ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)[1] .. ومن مواقف « سُلَيْمَان » أيضًا ما حكاه القرآن عنه حين جاءه عَرْش « بِلْقِيس » قبل أن يرتَدَّ إليه طَرْفُه ، حيث تواضع لله ، و لم يتكبَّر بـــهذا الإعجاز الذى لم يحدث له مثيل فى التاريخ .. وظهر تواضعه العظيم فى قوله كما حكى القرآن : (فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ)[2] ..

و كذلك نجد « يوسف » (عليه السلام) حين آتاه الله الْمُلْكَ ، وجاءه إخوته الذين كادوا له ، وفعلوا به ما فعلوا !! وهُم محتاجون إلى الطعام ، نَجده يقول لهم كما يحكى القرآن الكريم عنه : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)[3].. وحين يتم له الْمُلْكُ ، وتُبْسَط له الدنيا ، ويأتى بأبوَيْه وإخوَته إلى رحابه يلجأ إلى ربه تبارك وتعالى داعيًا : (رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ)[4] ..

---

[1] سورة النمل آية ٢٨ .
[2] سورة النمل آية ٤٠ .
[3] سورة يوسف آية ٩٢ .
[4] سورة يوسف آية ١٠١ .

وقد كان نبيُّنا (ﷺ) فى تواضعه مثلاً يُحتَذى ، فقد كان يجالس فقراء المسلمين من أهل الصُّفَّة أمثال : بلال ، وصُهَيْب ، وخَبَّاب (رضى الله عنهم جميعًا) ، ويأكل معهم ، ويحادثهم ، ويسمع منهم ، ويأْذَنُ لهم ، ولا يحتجب عنهم ، كما علمه ربه تبارك وتعالى بقوله : (وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا)[1] .. وكذلك حين بنى مسجده **كان ينقل الحجارة مع أصحابه** .. وكذلك أثناء حفر الخندق فى غزوة الأحزاب **كان (ﷺ) يحفرُ معهم يَدًا بيَد** .. ويَرْوِى أَبُو أُمَامَةَ (رضي الله عنه) فيقول : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَهُوَ مُتَوَكِّئٌ عَلَى عَصًا ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : (**لاَ تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا**)[2] .. ويُرْوَى أن رجلاً جاء إليه (ﷺ) يُكَلِّمُهُ ، فَأَرْعَدَ [3] الرَّجُلُ ، فقال (ﷺ) له : (**هَوِّنْ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ** [4])[5] .. وتحكى السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) وتَصِف حالته فى بيته (ﷺ) فتقول : **كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ** [6] .. وحين سُئِلَت : مَا كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : (**كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ ، يَخْصِفُ نَعْلَهُ** [7] ،

---

[1] سورة الكهف آية ٢٨ .
[2] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[3] أرعد : ارتجف واضطرب من الخوف .
[4] القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس .
[5] رواه البيهقى فى دلائل النبوة .
[6] رواه البخارى كتاب الأذان .
[7] يخصف نعله : يُصلحها .

وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ)[1]..

وقد تأدب الأصحاب بأدبه (ﷺ) ، وتخلَّقوا بأخلاقه .. فمِنْ تواضُع أبى بكر الصِّدِّيق (رضي الله عنه) ما يُحْكَى عنه من أنه كان يَحْلُبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ ، فَلَمَّا بُويِعَ لَهُ بِالْخِلاَفَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ : الآنَ لاَ يَحْلُبُ لَنَا مَنَائِحَنَا [2] .. فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ فقال : (**بَلَى ، لَعَمْرِي لأَحْلِبَنَّهَا لَكُمْ ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ**)[3].. وكذلك ما روى عن تواضُع عُمَر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو أمير المؤمنين ، وقصة رسول كسرى حين رآه فقال : (**حَكَمْتَ ، فَعَدَلْتَ ، فَأَمِنْتَ ، فَنِمْتَ**) .. مما أهاج قريحة أحد كبار الشعراء [4] فأنشد فيها شِعْرًا يقول فيه :

وراعَ صَاحِبَ كِسْرَى أَنْ رَأَى عُمَرًا ... بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وهُوَ راعِيهَا
فوقَ الثَّرَى تحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً ... بِبُرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبلِيها
وعَهْدُه بِمُلُوكِ الفُرْسِ أنَّ لَهَا ... سُورًا مِنَ الْجُنْدِ والْحُرَّاسِ يَحْمِيها
رآه مُسْتَغْرِقًا فِى نَومِهِ فَرَأى ... فِيهِ الْجَلالَةَ فِى أسْمَى مَعَانِيهَا
فَقَالَ قَولَةَ حَقٍّ أَصْبَحَتْ مَثَلاً ... وأصبحَ الْجِيلُ بَعْدَ الْجِيلِ يَرْوِيهَا
أمِنْتَ لَمَّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُو ... فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

وما حُكِيَ عن تواضُع أصحاب رسول الله (ﷺ) أكثر من أن يُحْصى ، وأشهر من أن يُجهل ، ويكفى أن نذكر واحدًا منهم ألا وهو « حُذَيْفة بن اليمان »

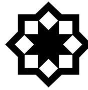
---

[1] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[2] المنحة : الدابة الحلوب تعار للانتفاع بلبنها .
[3] أسد الغابة لابن الأثير .
[4] الشاعر : حافظ إبراهيم فى : (الْعُمَرِيَّة) .

صاحب الفتوحات الكبرى ، وقائد الجيوش التى فتحت الكثير من بلاد فارس ، ذلك الصحابى الجليل الذى كان يُلَقَّب بصاحب سِرِّ رسول الله (ﷺ) .. فقد ولاه « عمر ابن الخطاب » إمارة « المدائن » أعظم بلاد فارس ، وخرج الناس يستقبلونه ، وإذا به يدخُلُ عَلَيْهم البلدَ بِمُفْرَدِه يَرْكَبُ حِمَارًا ، وبِيَدِهِ كِسْرَةٌ مِنْ خُبْزٍ يأكلُهَا بِملح .. فقالوا : ماذا تأمرنا ؟ قال : أسأَلُكُمْ عَلَفًا لِحمَارِى .. قالوا : عظنا يا صاحب رسول الله ، فقال : (**إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ**) .. قِيلَ : وَمَا مَوَاقِف الْفِتَنِ يَا أَبَا عَبْد الله ؟ .. قَالَ : (**أَبْوَابُ الأُمَرَاءِ ، يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ ، وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ**)[1] ..

ولقد كان التواضع سِمة رئيسية فى عُلماء السَّلَفِ فلم يتكبَّرْ أحدُهم بعِلْمِه .. وكذلك كان فى أغنيائهم فلم يتكبَّرْ أحدُهم بماله ، ومنهم الصحابى الجليل « عبدُ الرَّحْمن بن عَوْف » (رضي الله عنه) الذى كان من أغْنَى أغنياء الصحابة ، وهو من العشرَة الْمُبَشَّرينَ بالْجَنَّة ، ويقول عنه أصحابه : **أهل المدينة شُرَكَاءُ لابْنِ عَوْفٍ فى مَالِه : فَثُلُثُهُم يتصدَّق عَلَيهم ، وثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ ، وثُلُثٌ يُهْدِى لَهُمْ** [2] ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**)[3] ..



[1] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [2] أسد الغابة لابن الأثير . [3] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

العِفَّة

العِفَّةُ خُلُق من أخلاق الْمُرْسَلِين ، والأنبياء ، والصالحين .. والتعفُّف درجات : فمن الناس مَنْ يتعفَّف عن الحرام ، وهى درجة من درجات التقوى .. ومن الناس مَنْ يتعفَّف عن الشُّبُهات ، وهى درجة من درجات الوَرَع .. ومنهم مَنْ يتعفَّف عن الحلال ، وهى درجة من درجات الزُّهْد .. وقد أمر ربُّنا تبارك وتعالى الأوصياء على اليتامى بالتعفُّف عن مال اليتيم إن كانوا أغنياء ، فلا يأخذوا شيئًا مقابل الوصاية أو رعاية المال ، وبالأكل منه بالمعروف إن كانوا فقراء ، فقال : (وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ)[1] .. كما أثنى سبحانه وتعالى على الفقراء الذين يتعفَّفون عن السؤال على رغم شدة حاجتهم فقال : (لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا)[2] ، وكأن شِدَّة الجوع ، والمخمصة ظهرت على وجوههم ، ومع ذلك لا يتكففون الناس ، ولا يسألونـــهم مهما آلمهم الجوع ، وأضرَّ بـــهم ..

والتعفُّف عن المال له أمثلة كثيرة فى القرآن ، منها ما حدث مع « سُليمان »

---

(1) سورة النساء آية ٦ .

(2) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

(عليه السلام) ، حيث جاءته الهدايا من مَلِكَة سَبَأ ، ومع ذلك رفضها ، كما يحكى القرآن عنه : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَـٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَـٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ)[1] .. وما من رسول ولا نَبِىٍّ إلا قال لقومه : (وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)[2] ..

ويُرْوَى عن « عمر بن عبد العزيز » – الْمُلَقَّب بخامس الْخُلَفَاء الرَّاشِدين – أنه حين تولى الخلافة خَيَّر زوجته بين البقاء معه على شَظَفِ العيش ، والتخلِّى عن مجوهراتـــها وممتلكاتـــها لبيت المال ، وبين الطلاق مع احتفاظها بما تَمْلِك ، فاختارت البقاء معه ، وتنازلت لبيت المال عن كل ما منحها أبوها الذى كان من الخلفاء السابقين .. وكان أول أمر أصدره « عُمَرُ بن عبد العزيز » هو تخلِّى أهله وأقربائه من بنى أمية عن كل ما منحهم الخليفة السابق من مِنَح وعطايا ، وردَّها إلى بيت المال .. فجاءته عمته وقالت : يا بُنَىَّ ، مالك وما فعله من سبقك ؟!! إن كان ما فعله صوابًا حَرُمَ عليك أخذ أموال أهلك .. وإن كان ما فعله خطأ فلست مسئولاً عن خطأ غيرك .. فرفض « عمر بن عبد العزيز » هذا المنطق وأصر على رأيه ، فقالت عمته مهددة : يا بُنَىَّ ، إنى أخاف يومًا تجتمع عليك فيه بنو أمية .. فقال « عمر » : **يا عَمَّةُ ، كُلُّ يومٍ دُونَ يومِ القِيَامةِ أَخَافُهُ لاَ وَقَانِى الله شَرَّهُ** .. ويقول أحد معاصريه : لقد كان « عمر بن عبد العزيز » مرفَّهًا مُنَعَّمًا مكتنـــز اللحم قبل

---

[1] سورة النمل الآيتان ٣٥ ، ٣٦ . [2] سورة الشعراء الآيات : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

أن يتولى الخلافة ، فلما أصبح خليفة للمسلمين تغير حاله .. ووالله ، لو شئت أن أَعُدَّ أضلاعه لعددتـــها ضلعًا ضلعًا من شدة هزاله .. ودخل عليه أحد وزرائه يومًا يعرض عليه أمور الدولة ، فلما فرغ بدأ الوزير يسامره .. فأمهله « عُمَر » قليلاً ، وقام فأطفأ السراج ، وأوقد سراجًا غيره .. فتعجب الوزير ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا أرى بأسًا بالسراج الذى أطفأته ، فَلِمَ فعلت ذلك ؟ قال : السراج الذى أطفأته يُوقَد بزيت من بيت مال المسلمين ، بحثت أمور الدولة معك على ضوئه ، فلما انتقلنا إلى شئوننا الخاصة أطْفَأْتُه ، وأسْرَجْتُ سِرَاجًا يُوقَد بزيت من مالى الخاص .. ذلك مثال من أمثلة وَرَع الحكام ، وتعفُّفهم عن مال الدولة .. وقد كان « عمر بن عبد العزيز » فى ذلك مقتديًا بجَدِّه « عُمَر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ، فقد رَوَى زَيْدُ ابن أَسْلَمَ عن أبيه قال : أصاب الناس سنة غَلاَ فيها السَّمْنُ ، وكان عمر (رضي الله عنه) يأكله ، فلما قَلَّ قال : (**لا آكُلُهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ**) ، فكان يأكل الزيت فيُقَرْقِر بَطْنه ، فيقول : (**قَرْقِرْ مَا شِئْتَ ، فوالله لا تَأْكُلُ السَّمْنَ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ**) .. ثم قال لي : (**اكْسِرْ حَرَّهُ عَنِّي بِالنَّارِ**) .. فكنت أطبخه له فيأكله [1] ..

وقد كان « عمر » فى ذلك مقتديًا بـــ « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) .. الذى لما احتضر قال : (**يَا عَائِشَةُ ، انظري اللَّقْحَة** [2] **الَّتي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا ، والْجَفْنة** [3] **الَّتي كُنَّا نَصْطَبِحُ** [4] **فِيهَا ، والقَطِيفَة الَّتي كُنَّا نَلْبَسُهَا ، فَإِنَّا كُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حِينَ كُنَّا فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا مِتُّ فَارْدُدِيه إِلَى عُمَر**) .. فلما مات أبو

(١) رواه البيهقى . (٢) اللقحة : الناقة الحلوب . (٣) الجفنة : القصعة .
(٤) نصطبح : نشرب أول النهار .

بكر (رضي الله عنه) أرسلت به إلى عمر (رضي الله عنه) ، فقال عمر : (**رَضِيَ اللهُ عَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ**)[1] ..

وكلهم فى ذلك مقتدون بسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) الذى قالت عنه السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : (**مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ**)[2] .. وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ : **كَانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) هِلالٌ ، وَهِلالٌ ، وَهِلالٌ ، مَا يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِ نَارٌ .. قُلْتُ يَا خَالَةُ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟! قَالَتْ : عَلَى الأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ وَالْمَاءِ** [3].. **وقد كان (صلى الله عليه وسلم) يربطُ الْحَجَرَ على بَطْنِه من شِدَّةِ الْجُوعِ ..**

والتعفُّف عن المال أحد أنواع التعفُّف ، فهناك التعفُّف عن النساء أيضًا .. ومن أمثلة ذلك ما حدث مع « يُوسُف الصِّدِّيق » (عليه السلام) حين دعته امرأة العزيز لنفسها ، فقال كما يحكى القرآن الكريم : (مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ)[4] .. وحين اجتمعت عليه النساء المرفَّهات ، وهُدِّدَ بالسجن إذا لم يستجب قال كما يحكى القرآن : (رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِ ۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ)[5] .. ومن السَّبْعَة الذين يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : **رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** [6] ..

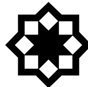
---

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير . [2] رواه الترمذى كتاب الزهد . [3] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

[4] سورة يوسف آية ٢٣ . [5] سورة يوسف آية ٣٣ . [6] رواه البخارى كتاب الزكاة .

وحين هاجر « عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ » (رضي الله عنه) إلى المدينة ، وآخى النبى (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين « سَعْد بْن الرَّبِيعِ » ، كان من ضِمْن ما قاله سَعْدُ لعَبْد الرَّحْمَنِ : **لِي مَالٌ ، فَنِصْفُهُ لَكَ .. وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَانْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجْهَا** .. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ** [1] .. وذهب إلى السوق محاولاً الارتزاق بجهده وعرقه ، وحين علم النبى (صلى الله عليه وسلم) بذلك سُرَّ من فعله ، ودعا له بالبركة ، واستجاب الله دعاء نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وأصبح « عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْف » من أغْنَى أغْنِيَاءِ المدينة ، حتى قال عن نفسه : (**فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً**)[2] .. كناية عن أن الرزق كان يأتيه من حيث لا يدرى ولا يحتسب .. وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : (**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى .. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .. وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى .. وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**)[3] ..

ومن العِفَّة أن تستر المرأة عَوْرَتَها ، ولا تُبْدِى زينَتَها إلا للمحارم ، كما أمرها الله عز وجل ، حتى وإن كانت كبيرة السِّنِّ ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[4] ..



[1] رواه أحمد باقى مسند المكثرين . [2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين . [3] رواه البخارى كتاب الزكاة .
[4] سورة النور آية ٦٠ .

الأمَانَة

الأمانة ضد الخيانة .. وتطلق على الصِّفَة التى يتصف بـــها الإنسان ، فيقال : فلان أمين ، أى : مُتَّصِف بالأمانة .. وقد تطلق على الشىء الذى يُؤْتَمَن عليه الإنسان : ماديًّا كان أو معنويًّا .. فأسرار الناس : أمانة لدى مَنْ يستشيرونه فى أمورهم ، لقول النبى (ﷺ) : (**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**)[1] .. وكذلك أمراضهم ، وما يصابون به : أمانة لدى الطبيب المعالج لا يصح له أن يُفشيها .. وما يودعه الإنسان لدى غيره من أموال وبضائع ، وما إلى ذلك : أمانة يجب الحفاظ عليها حتى يطلبها صاحبها .. وجوارح الإنسان وأعضاؤه : أمانة يجب عليه أن يحافظ عليها ، وهو مسئول عنها يوم القيامة ، وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بحفظ الأمانة ، كما أمر بأدائها لأربابـــها ، إذ يقول : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ)[2] .. ويقول : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)[3] ..

وأداء الأمانة لا يتوقف على أمانة مَن ائْتَمَنَكَ ، وإنما يتوقف على أمانتك أنت التى يجب أن تَتَّصِف بـــها إن كنت مُسْلِمًا حَقًّا ، لقول النبى (ﷺ) : (**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**)[4] .. وقد اتصف هو (ﷺ) بـــها فى كل شىء قبل بعثته ، حتى لَقَبَّه قومه بالأمين ، وحين هاجر إلى المدينة أمر « علىَّ بنَ أبى

---

(1) رواه الترمذى كتاب الأدب . (2) سورة النساء آية ٥٨ . (3) سورة الأنفال آية ٢٧ .

(4) رواه الترمذى كتاب البيوع .

طالب » بالبقاء حتى يؤدى الأمانات إلى أصحابــها ، على رغم ما كان منهم من : كُفْرٍ ، وعِنَاد ، وأذى له ولأصحابه ..

والأمانة شأنــها خطير ، فالحق تبارك وتعالى يقول : (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)[1] .. وهناك أنواع عديدة من الأمانة : كأمانة الكلمة ، وأمانة النقل ، وأمانة العِلْم ، وأمانة الدعوة إلى الله ، وأمانة التعامل بين الناس فى مجالاته المختلفة : كالتجارة ، والصناعة ، والزراعة ، وما إلى ذلك .. والأمانة لكى تتحقق فى شخص ما ، لابد أن يكون مُتَّصِفًا بالصدق والإخلاص ، فلا أمانة لِكَاذِب ، ولا أمانة لِمُرَاءٍ .. وقد أطلق الله تعالى على « جِبْرِيل » لقب الأمين ، لأنه مُسْتَأمَن على الوحى الذى ينـــزل به على الرُّسُل ، فلا يُطْلِعُ عليه أحدًا غيرهم ، ويبلِّغه إليهم دون نقص ، أو زيادة ، ودون تحريف ، أو تبديل : (نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ)[2].. (مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)[3] ..

والأمانة من صفات الرسل جميعًا ، فهم مُسْتَأْمَنون على الرِّسَالة يبلغونــها كما أنـــزلت إليهم دون انتظار لأجر من أحد ، ومهما لقوا من تعنُّت وأذى أقوامهم .. وقد وصف الحق تبارك وتعالى رُسُلَه بالأمانة فى مثل قوله عز وجل : (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[4].. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

---

(1) سورة الأحزاب آية ٧٢ . (2) سورة الشعراء آية ١٩٣ . (3) سورة التكوير آية ٢١ .

(4) سورة الشعراء الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .

هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[1] .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[2] .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[3] .. وقوله : (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[4] .. وقوله : (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[5].. وقوله : (أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[6] ..

وكما أن الأمانة من صفات الرُّسُل ، فهى من صفات الصالحين فى كل مكان وزمان ، من إنس وجن ، وها هو القرآن يحكى عن عِفْريت من الجن قوله لسُلَيْمَان (عليه السلام) حين طلب أن يأتيه أحدهم بعرش بِلْقِيس : (أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ)[7] .. وكذلك وصفت ابنة شُعَيْبٍ مُوسى (عليه السلام) بالأمانة قبل أن يكون رسولاً بقولها : (يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)[8] ..

والأمانة فى تبليغ الوحى تَتَّضِح تمامًا من قول أم المؤمنين « عَائِشة » (رضى الله عنها) : **لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ** : (وَتُخْفِى

---

(1) سورة الشعراء الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .
(2) سورة الشعراء الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ .
(3) سورة الشعراء الآيتان ١٦١ ، ١٦٢ .
(4) سورة الشعراء الآيتان ١٧٧ ، ١٧٨ .
(5) سورة الدخان الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(6) سورة الأعراف آية ٦٨ .
(7) سورة النمل آية ٣٩ .
(8) سورة القصص آية ٢٦ .

فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ)[1] .. [2]

ومما يفزع ويخيف أن الأمانة سوف تُرفع من الأرض ضمن عشر جواهر يرفعها « جبريل » (عليه السلام) قبل قيام الساعة كما يحكى رسول الله (ﷺ) فى قوله : (**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِه ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْت** [3] .. **ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ** [4] ، **كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ** [5] ، **فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيه شَيْءٌ** [6] .. **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ ، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ ، حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلاَن رَجُلاً أَمِينًا ، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدَهُ ! مَا أَظْرَفَهُ ! مَا أَعْقَلَهُ ! وَمَا فِي قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**) [7] ..

والمسلم الحق هو الذى يراقب نَفْسَه فى تعامله مع الحق تبارك وتعالى ، ومع الناس ، ومع نَفْسِه ، لكى يَتَّصِف بالأمانة فى كل أموره ، وحتى يَتَّقِى بُغْضَ الله عز وجل له : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ)[8] .. وإليك أمثلة لأنواع من الأمانة ، وكيف تحافظ عليها لتكون نبراسًا يضىء لك الطريق فى جميع أنواع الأمانات التى سوف يُسْأَل عنها الإنسان يوم القيامة ..

---

[1] سورة الأحزاب آية ٣٧ . [2] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن . [3] الوكت : العلامة اليسيرة .
[4] المجل : هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو نحوه ، يحتوي على ماء ثم يصلب .
[5] فنفط : أي ارتفع جلدها و انتفخ .
[6] منتبرًا : مرتفعًا جلده من لحمه ، والمراد : خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه .
[7] رواه البخارى كتاب الرقاق ، ومسلم كتاب الإيمان . [8] سورة الأنفال آية ٥٨ .

١ – أمانةُ العلْم :

والعِلْم نِعمة من الله وفضل اختصَّ به بعض عباده .. فمن رزقه الله العِلْم ، ووَفَّقَه لدعوة الناس ، وتعليمهم ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .. لابد أن يرعى هذه النعمة ، ويحافظ عليها بدوام الاطلاع والمراجعة ، فدوام العلم مذاكرته .. وعليه أن لا يتحزَّب لرأى ، أو يتحيزَّ لفكر ، وأن يكون الحق ضالته ، وأن يرفق بِمَنْ يعلمهم ، ويزيِّن عِلْمَه بالْحِلْم ، وأن يكون أمينًا فى نقله للعِلْم ، وينسبه إلى أصحابه ، ولا ينكر فضلهم عليه – فمن العلم أن يُنسَبَ العلم إلى قائله – وعلى العَالِم أن يكون أمينًا على حديث رسول الله (ﷺ) لأنه يقول : (**إنَّ كَذبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذبٍ عَلَى أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**)[١] .. ولا يلوى معانى القرآن لِيُؤَيِّد وجهة نظره ، ولا ينتقى من الأحاديث ما يَتَّفِق ورأيه ، بل يكون رأيه وفكره خاضعَيْن للحق .. وأن يفتح صدره لكل الآراء والمذاهب ، ولا يهاجم غيره لمجرد أنه يخالفه الرأى ، فالعِلْم واسع ، والقرآن حَمّال وجوه .. وعليه أن ينـــزع من قلبه : الغِلَّ ، والْحِقْد ، والْحَسَد لغيره من العلماء الذين قد نالوا من الشهرة ، أو حُبِّ الناس ما لَمْ يَنَلْه هو ، وليتذكر قول الإمام مالك (رضي الله عنه) : (**بَلَغَنِى أَنَّ الْعُلَمَاءَ يُسْأَلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الأَنْبِيَاءُ**)[٢] .. وقد قال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لعَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) يَوْمَ خَيْبَرَ : (**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ** [٣] **حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لأَنْ**

---

[١] رواه البخارى كتاب الجنائز .
[٢] فقه العبادات على المذهب المالكى .
[٣] انفذ على رسلك : امض واذهب بتأن وتمهل .

يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ [1])[2] ..

٢– أمانةُ التَّعَامُل :

وتتمثل فى أن تكون أمينًا على ما استودعك الغير من أسْرَارٍ بدافع الصداقة ، أو الاستشارة ، أو بسبب مهنتك : كالأطباء ، والمحامين ، وغيرهم .. فلا تفشيها ، ولا تَهْمس بـــها لأحد مهما قرب منك .. وإن كنت تاجرًا فإياك والغش ، أو الخيانة ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**)[3].. ويقول : (**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**)[4] .. وإياك وأكل أموال الغير بالباطل ، فالنبى (ﷺ) يقول : (**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِه** [5] ، **فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**) .. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ** [6])[7]..

وإن اقترضت مالاً فلا تقترض إلا للضرورة ، على أن تكون متيقنًا من قدرتك على السداد ، ناويًا ذلك بقلبك نية صادقة ، فالرسول (ﷺ) يقول : (**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا ، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ .. وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا ، أَتْلَفَهُ اللَّهُ**)[8] .. وقد ورد عنه (ﷺ) **أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ ، فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، قَالَ :**

---

[1] حمر النعم : الإبل الْحُمْر ، وهى أَنْفَس أموال العرب .
[2] رواه البخارى كتاب المغازى .
[3] رواه مسلم كتاب الإيمان .
[4] رواه البخارى كتاب البيوع .
[5] أى مَن امتلك حق أخيه المسلم ظلمًا بالحلف الكاذب .
[6] قضيب من أراك : عود السّواك .
[7] رواه مسلم كتاب الإيمان .
[8] رواه البخارى كتاب الاستقراض .

فَأْتني بِالْكَفيلِ ، قَالَ : كَفَى بِاللَّه كَفيلاً ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْه إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْه للأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِه ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا [١] ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّه كَفِيلاً ، فَرَضِيَ بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّه شَهِيدًا ، فَرَضِيَ بِكَ ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْه الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا .. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ [٢] فِيه ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَده .. فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِه ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ ، فَأَخَذَهَا لأَهْله حَطَبًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ .. ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَأَتَى بِالأَلْف دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّه مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيه .. قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ .. قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيه !!.. قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ .. فَانْصَرِفْ بِالأَلْف الدِّينَارِ رَاشِدًا .. [٣]

كما يجب عليك أن تعلم أن أحكام القضاء لا تُحِلُّ حرامًا ، لقوله (ﷺ) : (**إِنَّكُمْ**

---

[١] زجج موضعها : أى سوَّى موضع النقر وأصلحه . [٢] ولجت : دخلت .

[٣] رواه البخارى كتاب الحوالة .

تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي لَكُمْ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] .. وإن استأجرت عاملاً ، فإياك أن تظلمه حقه ، أو تتراخى فى إعطائه إياه ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**)[2] .. وإن كنت صانعًا فإياك أن تبالغ فيما تستحقه من أجر أو تـــهمل فى صنعتك ، لأن النبى (ﷺ) يُبَشِّرُ العاملين بأيديـــهم ، الأمناء فى أعمالهم بقوله : (**طَلَبُ الْحَلاَلِ مِثْلُ مُقَارَعَةِ**[3] **الأَبْطَالِ فِي سَبِيلِ الله ، وَمَنْ بَاتَ عَيِيًّا**[4] **مِنْ طَلَبِ الْحَلاَلِ بَاتَ واللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ رَاضٍ**)[5] ..

ويوصى (ﷺ) بإتقان العمل ، والإخلاص فيه بقوله : (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ**)[6] .. وإن كنت موظفًا مسئولاً عن التعامل مع جماهير الناس ، وقضاء مصالحهم فاحذر التقصير ، لأنه خيانة للأمانة ، واحذر أن تشقَّ عليهم .. والنبى (ﷺ) يحذِّر من ذلك بقوله : (**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْه .. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِه**)[7] .. وإياك وطلب الرِّشَا .. فقد **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ** (ﷺ) **الرَّاشِيَ ، وَالْمُرْتَشِيَ ، وَالرَّائِشَ**

---

(1) رواه ابن ماجه كتاب الأحكام .
(2) رواه ابن ماجه كتاب الأحكام .
(3) المقارعة : المضاربة بالسيوف .
(4) العيّ : التعب الشديد .
(5) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .
(6) رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده .
(7) رواه مسلم كتاب الإمارة .

(**يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا**)[1] .. واعلم أن الهدايا بسبب وظيفتك تعتبر من الرشوة التى لعن النبى (ﷺ) أصحابـــها .. وإن كنت حاكمًا ، أو راعيًا ، أو بيدك أمور الناس فتذكر قول النبى (ﷺ) عن الإمارة : (**إِنَّهَا أَمَانَةُ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**)[2] .. ويكفيك أن تعلم أن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » - الذى هو مَنْ هو - رُوِى أنه أخذ تِبنَةً مِنَ الأَرْضِ فقَال : (**لَيْتَنِي هَذِهِ التِّبنَةُ ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**)[3].. وحين طُلِب منه أن يَسْتَخْلِف وهو مَطْعُون قد خرجت أحشاؤه قال : (**وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لا لِي ، وَلا عَلَيَّ ، لا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلا مَيِّتًا**)[4] ..

وهكذا حيثما كان موقعك ، أو مكانك فى المجتمع ، فأنت مطالب بأن تكون أمينًا فى تعامُلكَ مع غيرك ، ويوضح ذلك حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه : (**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ .. وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ .. أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[5] ..

---

(1) رواه أحمد باقى مسند الأنصار . (2) رواه مسلم كتاب الإمارة . (3) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(4) رواه البخارى كتاب الأحكام . (5) رواه البخارى كتاب الأحكام .

٣- الأمانةُ مَعَ النَّفْس :

والنفس أمانة ، يقول الله فى شأنـــها : (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)[1] .. وكذلك الحواس والجوارح أمانة يُسأل عنها الإنسان ، لقول الله عز وجل : (إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولاً)[2] .. وكذلك المال ، والجاه ، والزوجة ، والولد ، وكل ما خوَّلَكَ الله وأعطاك إياه : أمانة تُسْأل عنها يوم القيامة .. والنبى (ﷺ) يقول : (**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ : فِيمَا أَفْنَاهُ .. وَعَنْ شبابه : فيما أَبْلاَهُ .. وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ .. وعَنْ عِلْمِهِ : مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**)[3] .. والناس يتفاوتون فى حظوظهم من هذه الأمانات ، وكل منهم يُسْأل فى حدود ما منحه الله منها .. بل وهم متفاوتون فى حظوظهم من العقل كذلك ، فعقل الإنسان محسوب عليه من رزقه ..

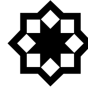
٤- الأمانة مع الله :

تتمثل فى صحة العقيدة فلا تشوبـــها شائبة من الشِّرْك الْجَلِىّ أو الْخَفِىّ ، وقد أخذ الله العهد على عباده حين خلقهمْ وأشهدهم على أنفسهم ، ثم ذكَّرَهم بذلك فى قوله تعالى : (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ

---

[1] سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ .
[2] سورة الإسراء آية ٣٦ .
[3] رواه الترمذى والطبرانى والبزّار .

أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ)[1] .. وكذلك تتمثل الأمانة مع الله فى أداء الشهادات ، وعدم كتمانـــها ، أو تحريفها ، والله تعالى يقول : (وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ)[2] .. وتتمثل كذلك فى المحافظة على الأَيْمَان : (وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلاً)[3] .. بل وفى إبرار الْمُقْسِم كما أمرنا النبى (ﷺ) ، وهو أن تفعل ما حلف عليك إنسان أن تفعله إذا لم يكن إثْمًا .. وهكذا فى كل تعامُلٍ لك مع الله عز وجل ، وفى كل حق من حقوقه تبارك وتعالى يجب أن تكون أمينًا حافظًا لِمَا استودعه فيك من فطرة سليمة ، واستحفظك إيَّاهُ من أمانة ..



(1) سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ .
(2) سورة البقرة آية ٢٨٣ .
(3) سورة النحل آية ٩١ .

الْحِلْم

الْحِلْمُ هو الأناةُ وضبط النَّفْس .. والْحِلْمُ ضِدُّ : التسرُّع ، والرُّعونة ، والجهل .. والْحِلْمُ خُلُقٌ قد يهبه الله لِمَنْ يشاء فيصبح الإنسان حَلِيمًا بفضل الله دون جهد منه .. وقد يُكْتَسبُ الْحِلْمُ بالمحاولة والمجاهدة ، مصداقًا لقول رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّمَا العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ .. ومَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَه ، ومَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَه**)[(١)] ..

ويروى أنه قد وَفَدَ على النبى (ﷺ) الْمُنْذِرُ الأَشَجُّ (رضي الله عنه) في رفقة من عَبْدِ الْقَيْسِ ليزوره ، فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه ، وأخرج من عَيْبَتَهُ [(٢)] ثوبين حسنين فلبسهما – وذلك بعين رسول الله (ﷺ) يرى ما يصنع – ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) ، فَقَالَ (ﷺ) لَهُ : (**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ** [(٣)] **يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ ، وَالأَنَاةُ**) .. قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا ، أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي [(٤)] عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : (**بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**) .. قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .. [(٥)]

والْحِلْمُ من أخلاق الأنبياء ، فقد وصف الله به « إسماعيل » (عليه السلام) قبل أن يُولَد ، حين بَشَّر به أباه « إبراهيم » (عليه السلام) بقوله : (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ)[(٦)] ، وكذلك وُصِف به « شُعَيْب » (عليه السلام) على لسان قومه كما يحكى القرآن عنهم : (قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط . (٢) عيبته : مستودع ثيابه . (٣) خلتين : خصلتين وصفتين .
(٤) جبلنى : خلقنى وفطرنى . (٥) رواه أبو داود وابن حبان . (٦) سورة الصافات آية ١٠١ .

نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ)[1] ..

وحِلْمُ الأنبياء هو الذى جعلهم يتحمَّلون تعنُّت أقوامهم ، وتكذيبهم لهم ، وإيذاءهم إياهم حتى يستطيعوا تبليغ رسالات الله ، فيؤمن مَنْ يشرح الله صدره للإيمان ، وتجب الْحُجَّةُ على مَنْ أصرَّ على كُفْره .. ولذلك قيل : **الْحِلْمُ سيِّدُ الأخلاق** .. والْحِلْمُ كذلك من خُلُق الصالحين الذين أثنى الله تبارك وتعالى عليهم بقوله : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا)[2].. وبقوله : (وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ)[3] .. وبقوله : (وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِى ٱلۡجَٰهِلِينَ)[4] ..

ومن الْحِلْم أن يملك الإنسان نَفْسَه عند الغضب ، ويَكْبَحُ جِمَاحَها ، وقد قال النبى (ﷺ) : (**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**)[5] .. وهذا هو التحلُّم بكَظْمِ الغيظ ، أما الْحِلْمُ فهو عدم الغَضَب أصلاً .. ولذلك كان ثواب كظم الغيظ عظيمًا ، لأن فيه مجاهدة للنَّفْس ، إذ يقول النبى (ﷺ) : (**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى**)[6] ..

وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال : إِنَّ لِي قَرَابَةً : أَصِلُهُمْ ، وَيَقْطَعُونِي .. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ .. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ .. فَقَالَ : (**لَئِنْ**

---

[1] سورة هود آية ٨٧ . [2] سورة الفرقان آية ٦٣ . [3] سورة المؤمنون آية ٣ .
[4] سورة القصص آية ٥٥ . [5] رواه البخارى كتاب الأدب . [6] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة.

كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسفُّهُمُ الْمَلَّ [1]**، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ** [2] **عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)**[3] .. وقال « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) : (**ليسَ الْخَيْرُ أن يَكْثُرَ مالُكَ وولَدُكَ ، ولَكِنَّ الخيرَ : أن يَكْثُرَ عِلْمُكَ ، ويعظُمَ حِلْمُكَ ، وأن تُبَاهِيَ الناسَ بِعِبَادَةِ ربك ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ الله ، وإن أسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ الله)**[4] .. وقال « وهب بن منبه » : (**مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ ، ومَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ ، ومَنْ يَجْهَلْ يُغْلَبْ ، ومَنْ يَعْجَلْ يُخْطِىءْ ، ومَنْ يَحْرِصْ على الشَّرِّ لا يَسْلَمْ ، ومَنْ لا يَدَع الْمِرَاءَ يُشْتَمْ ، ومَنْ لا يَكْرَهِ الشَّرَّ يَأْثَمْ ، ومَنْ يَكْرَه الشَّرَّ يُعْصَمْ ، ومَنْ يَتَّبِعْ وَصِيَّةَ الله يُحْفَظْ ، ومَنْ يَحْذرِ الله يأمَنْ ، ومن يَتَوَلَّ الله يَمْتَنِعْ** [5] **، ومَنْ لا يَسْأَلِ الله يَفْتَقِرْ ، ومَنْ لا يَكُن مَعَ الله يُخْذَلْ ، ومَنْ يَسْتَعِنْ بالله يَظْفَرْ)**[6] .. وقال لقمان لابنه : (**ثلاثة لا يُعْرَفون إلا في ثلاثة مواطن .. لا يُعْرَفُ : الْحَليمُ إلاَّ عِنْدَ الْغَضَبِ ، ولاَ الشُّجَاعُ إلاَّ فِي الْحَرْبِ إِذَا لَقِيَ الأَقْرَان ، ولا أَخَاكَ إلاَّ عِنْدَ حَاجَتِكَ إِلَيْه)**[7] ..

هذا .. ولا يجوز مقابلة السبِّ بالسبِّ ، والغضب بالغضب ، والغِيبَة بالغِيبَة .. وهكذا .. فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ ، فَلا تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ ، فَيَكُونَ لَكَ أَجْرُهُ ، وَعَلَيْهِ إِثْمُهُ)**[8] ..

---

[1] تسفهم الملَّ : تطعمهم الرماد الحار .

[2] ظهير : نصير ومعين ودافع للأذى .

[3] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

[4] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

[5] يمتنع : يصير منيعًا مَحْمِيًّا .

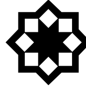
[6] كتاب الحلم لابن أبى الدنيا .

[7] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

[8] رواه أحمد ، مسند البصريين .

والحِلْمُ من صفات الله عز وجل : و« الْحَلِيم » من أسمائه الْحُسْنى ، وهو القائل عن نفسه : (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[1] ..

والله سبحانه وتعالى يشاهد معصية العاصى ، فلا يسارع بالمؤاخذة ، ولا يُعَجِّل بالعقوبة ، بل يُمْهِلُ العاصِى حتى يتوب .. فإن تابَ قَبِلَ توبته ، وغفر له السيئات ، وتجاوز عن الزَّلاَّت .. وهو يرزق المخالفين لأمره ، ويستر العصاة ، ويحلم عليهم ، ولو شاءِ لأهلكهم ، وما أمهلهم .. وهو القائل سبحانه : (وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٍ)[2] ..



---

(1) سورة البقرة آية ٢٣٥ .
(2) سورة فاطر آية ٤٥ .

الْكَرَم

الكَرَمُ ، والسَّخَاءُ ، والْجُودُ : أسماءٌ لصفَات كريمة ، وأخلاق عظيمة ، تخلَّق بـــها الرُّسُل ، والأنبياء ، والصالحون .. والكَرَم ضِد البُخْلِ ، كما أن السَّخَاء ضِدّ الشُّحِّ .. وأرفع درجات السخاء : «**الإيثار** » : وهو أن يجود المرء بالمال مع الحاجة إليه .. وهذا ما تخلَّق به الأنصار ، فقد قال أبو هريرة (ﷺ) : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ [(١)] .. فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِه فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلاَّ الْمَاءُ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِه اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ؟**) .. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه .. فَانْطَلَقَ بِه إِلَى امْرَأَته ، فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي .. فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ [(٢)] ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَك إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً .. فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلاَ يُرِيَانه أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ [(٣)] .. فَلَمَّا أَصْبَحَ الرجل غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) فَقَالَ : (**لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – أَوْ ضَحِكَ – مِنْ فُلانٍ وَفُلانَةَ**) .. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[(٤)] .. [(٥)]

ويحكى « عمر بن الخطاب » (ﷺ) فيقول : (**أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ**

---

(١) الجهد : الشدة والمشقة . (٢) أصبحى سراجك : أى أوقديه . (٣) طاويين : أى بغير عشاء .
(٤) سورة الحشر آية ٩ . (٥) رواه البخارى كتابى المناقب ، وتفسير القرآن .

رَسُولِ اللهِ (ﷺ) رَأسُ شَاة فقال : إنَّ أَخِي فُلاَنًا وعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا منَّا) .. قال : (**فَبَعَثَهُ إِلَيْه ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الأَوَّلِ**)[١] ..

وقال « حذيفة العدوي » : انطلقت يوم « الْيَرْمُوك » أطلب ابن عم لي – ومعي شيء من الماء – وأنا أقول : إن كان به رَمَقٌ سَقَيْتُه ، ومسَحْتُ به وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نَعَمْ ، فإذا أنا برجل يقول : آه ! آه ! فأشار إِلَيَّ ابْنُ عَمِّي أن انْطَلِق إليه ، فإذا هو « هشام بن العاص » فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فَسِمِعَ آخر يقول : آه ! آه ! فأشار هشام أن انْطَلِق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى « هشام » فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات [٢] .. رحمة الله عليهم أجمعين ..

والله تبارك وتعالى يأمر بالكرم والْجُود ، ويُبَشِّر عليه ، ويُحذِّر من البُخْل والإمساك ، فيقول سبحانه : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)[٣] ..

ويبيِّن ربنا تبارك وتعالى السبيل إلى البِرِّ ، وهو خُلُق الأبرار فيقول : (لَن تَنَالُواْ

---

[١] رواه البيهقى فى شُعب الإيمان .

[٢] تفسير القرطبى سورة الحشر آية ٩.

[٣] سورة البقرة الآيتان ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ)[1] ..

ولقد كان من فضل الله تبارك وتعالى أن جعل الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك فى جميع أعمال البِرِّ والخير إلا الصدقة فإنه جعل الحسنة بسبعمائة ضِعْف ، وقد يزيد على ذلك ، وهذا الفضل العظيم لم يحظ به أى عمل من الصالحات سوى الإنفاق إذ يقول عز وجل : (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)[2] .. ويبين النبى (ﷺ) فضل المال إذا كان صاحبه كريمًا فيقول : (**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**)[3] .. ويحذِّر (ﷺ) من عاقبة الشُّحِّ فيقول : (**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)[4] ..

ومن أمثلة الكرم ما حدث من « إبراهيم » (عليه السلام) مع أضيافه كما يحكى القرآن عنه : (وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[5] .. جاءهم بِعِجْل وكان عددهم لا يزيد عن أربعة نفر – كما قيل – و لم يأت بشاة ، وقد كانت تكفى وتزيد ، و لم يسألهم إن كانوا يريدون طعامًا أم لا ، بل جاء به على الفور .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**)[6] .. ويعيب القرآن على الذين

---

(1) سورة آل عمران آية ٩٢ . (2) سورة البقرة آية ٢٦١ . (3) رواه أحمد مسند الشاميين .
(4) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (5) سورة هود آية ٦٩ . (6) رواه البخارى كتاب الأدب .

لا يكرمون الأضياف كما حدث مع « موسى » (عليه السلام) والْخَضِر : (فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا)[1] ..

هذا .. ويزداد فضل الكرم والإنفاق كلما كان ذلك فى الخفاء : فمن السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلّه : رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .. والكريم لا يخاف يوم القيامة إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)[2] .. ويعاتب الله عز وجل يوم القيامة الذين منعوا أموالهم عن السائلين كما ورد فى الحديث القدسى : (**يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**)[3] .. ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

[1] سورة الكهف آية ٧٧ . [2] سورة البقرة آية ٢٧٤ . [3] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

يتعوَّذ من البُخْل فيقول : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**)[1] .. ويقول (ﷺ) : (**خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ**)[2] .. ويقول (ﷺ) : (**شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شُحٌّ هَالِعٌ**[3] ، **وَجُبْنٌ خَالِعٌ**[4])[5] ..

ويقول عَمْرو بْنُ شُعَيْبٍ (رضي الله عنه) : حِينَ صَدَرَ[6] رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ حُنَيْنٍ وَهُوَ يُرِيدُ الْجعرَّانَةَ سَأَلَهُ النَّاسُ ، حَتَّى دَنَتْ بِهِ نَاقَتُهُ مِنْ شَجَرَةٍ فَتَشَبَّكَتْ بِرِدَائِهِ حَتَّى نَزَعَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي ، أَتَخَافُونَ أَنْ لاَ أَقْسِمَ بَيْنَكُمْ مَا أَفَاءَ**[7] **اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ سَمُرِ تِهَامَةَ**[8] **نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً ، وَلاَ جَبَانًا ، وَلاَ كَذَّابًا**)[9] ..

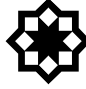
وقد اشتهر « حاتم الطائى » فى الجاهلية بالكرم ، وحين وقعت ابنته أسيرة فى إحدى الغزوات ، استأذنت على النبى (ﷺ) وحين دخلت عليه قالت : أنا بنت حاتم الطائى ، فقال الرسول (ﷺ) : (**خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ، واللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**)[10] .. وأمر (ﷺ) أصحابه فأطلقوا سراحها ..

---

(1) رواه البخارى كتاب الدعوات . (2) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .
(3) هلع : جزع ، يصيب البخيل بعد إخراج حق الله فى ماله .
(4) خالع : شديد ، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه .
(5) رواه أبو داود كتاب الجهاد . (6) صدر : رجع . (7) أفاء : أعطى وأنعم .
(8) سمر تهامة : شجر تهامة . (9) رواه مالك فى الموطأ . (10) رواه ابن عساكر .

وتقول أم البنين أخت « عُمَرَ بن عبد العزيز » : (**أُفٍّ للبُخْلِ .. لو كانَ قَمِيصًا ما لَبِسْتُهُ .. ولو كَانَ طَرِيقًا ما سَلَكْتُه**)[1] ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّة تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**)[2] ..



(1) كتاب صِفَة الصَّفْوة للجوزيّ .
(2) رواه البخارى كتاب المناقب .

الْوَفَاء

الوَفَاء : صفة الأوفياء ، الذين يؤدُّون حقوق الآخرين عليهم كاملة غير منقوصة .. والوَفَاءُ ضدُّ الغَدْر ، والغَدْر مِنْ صِفَات المنافقين لقول النبى (ﷺ) : (**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**)(١) .. وقوله : (**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**)(٢) .. والوفاء من صفات المؤمنين .. وقد أمر الله تبارك وتعالى به فى مُحْكَم كتابه إذ يقول : (وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً)(٣) .. (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)(٤) .. (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ)(٥) .. والوفاء بالعُهُود والعُقُود هو الالتزام الكامل بما تَمَّ الاتفاق عليه مع الغير ، سواء أكان : عَدُوًّا ، أم صديقًا ، أو مُتَعَامِلاً فى التجارة والبُيُوع .. فلو عاهد المسلمون أعداءهم وَجَبَ عليهم تنفيذ بنود المعاهدة وعدم نَقْضِها .. وكذلك لو تَمَّ التَّعاهُدُ مع أحد من الناس على أمور مُعَيَّنة كأن يعهد إليك شخص بمراعاة أولادِهِ بعد وفاته ، أو بتنفيذ وصيَّته فإنه يجب الوفاء بكل ذلك .. وإن كان بينك وبين أحد ما عَقْد فى تجارة أو غيرها – **والعَقْدُ شَرِيعَةُ الْمتَعَاقِدِينَ** – وَجَبَ الالتزام ببنود العقد التزامًا

(١) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٢) رواه البخارى كتاب الإيمان . (٣) سورة الإسراء آية ٣٤ .
(٤) سورة النحل آية ٩١ . (٥) سورة المائدة آية ١ .

كاملاً ، ونبيُّنا (ﷺ) يقول : (**الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ**)[1].. على أن تكون هذه الشُّرُوطُ مُتَّفِقَةً مع كتاب الله وسُنَّة رسُوله (ﷺ) ، لأن كل شرط يخالف شرع الله مردود ، حتى ولو كان مُتَّفَقًا عليه بين أطراف العقد ، فقد رُوِيَ أنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) قَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْه ، ثُمَّ قَالَ : (**أَمَّا بَعْدُ .. فَمَا بَالُ رِجَال منْكُمْ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَاب اللَّه !! فَأَيُّمَا شَرْط لَيْس فِي كِتَابِ اللَّه فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، فَقَضَاءُ اللَّه أَحَقُّ ، وَشَرْطُ اللَّه أَوْثَقُ**)[2] ..

وهناك أمور يجب الوفاء بـــها ، وإن كانت غير مكتوبة ، مثل : البِرِّ بالوالِدَيْن ، وهو الوفاء بحقِّهما الذى تفرضه العلاقات الإنسانية ، والذى أمر به الله سبحانه وتعالى فى مُحْكَم كتابِه .. وكذلك الوفاء بحق الأولاد من : التربية ، والرعاية ، والتوجيه ، واختيار الزوجة الصالحة التى سوف تصبح لهم أُمًّا ، واختيار أسمائهم التى سوف يُنادون بـــها فى الدنيا وفى الآخرة .. وكذلك الوفاء بحق الزوجة من الحنان ، والْمَوَدَّة ، وحُسْن المعاشرة .. وتتسع دائرة الوفاء لتشمل حقوق الأقارب ، وذوى الأرحام ، والجار فى السكن ، ورفقاء السفر ، والمعلمين الخير ، والصادقين معك ، والمخلصين لك .. وهكذا ..

وقبل كل ذلك لابد من الوفاء بعهد الله الذى عهده إلينا : أن نُؤمن به ولا نُشرك به شيئًا ، والذى ذَكَّرَنا به سبحانه فى قوله : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن

---

[1] رواه أبو داود كتاب الأقضية . [2] رواه البخارى كتاب العتق .

تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ)[1] ..

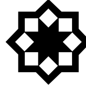
وهذا العهد قد أخذه الله على كُلِّ بنى آدم فى عَالَم الذَّرِّ ، وقبل خَلْق الدنيا .. ذكره من ذكره ، وغفل عنه من غفل عنه .. ومن رحمة الله تبارك وتعالى أن أخبر الناس به ، ونَبَّهَهُم له فى كثير من الآيات ، ومنها : (وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)[2] .. وهذا يتطلب أن يكون الإنسان مستقيمًا على طريق الله لا تزيغ به الأهواء ، عاملاً بشهادة أن لا إله إلا الله .. **إذ إن الإيمان : إقرار باللسان ، واعتقاد بالْجَنَان ، وعمل بالأركان** .. وربنا تبارك وتعالى يُنبِّهُ قائلاً : (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ)[3] ..

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على الْمُوفِين بالعُهُود وبَشَّرَهُم بقوله : (وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ)[4] .. ويُحَذِّر الناقضين للعَهْد بقوله : (ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)[5] .. وقد رُوِىَ عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظِىّ – وهو أحد كبار التابعين – أنه قال : (**ثَلاَثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ**

[1] سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ . [2] سورة المائدة آية ٧ . [3] سورة الأنعام آية ١٥٣ .
[4] سورة البقرة آية ١٧٧ . [5] سورة البقرة آية ٢٧ .

عَلَيْهِ : **الْبَغْىُ ، والنَّكْثُ ، والْمَكْرُ**) .. وقرأ : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم)[1] ، (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ)[2] ، (وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ)[3] ..[4]

وهكذا نجد أن الوفاء بالعهد من أخلاق المؤمنين ، يُثِيبهم الله عليه بأن يُوَفِّيهم أجرهم يوم القيامة ، ويزيدهم من فضله : (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ)[5] .. وأما نَقْضُ العُهُود فهو مِن صفات الْمُنَافقين يَرْتَدُّ عليهم ، ويَحِيقُ بــهم فى الدنيا خِزْيًا وخُسْرانًا ، ثم يلقونَ فى الآخرة أشَدَّ العَذَاب ، والْهَوَان ..



(1) سورة يونس آية ٢٣ . (2) سورة الفتح آية ١٠ . (3) سورة فاطر آية ٤٣ .
(4) كتاب ذم البغي لابن أبى الدنيا . (5) سورة الرحمن آية ٦٠ .

الْعَفْــو

العَفْوُ فى اللغة : الْمَحْو .. والعَفْوُ يُطْلَق على إسقاط الحق المستحق .. فمَنْ كان له حقٌّ عند أَحَدٍ من الناس كغَرَامَة أو قِصَاصٍ ، فتنازل عنه ، وأسقطه : فقد عَفَا .. والعَفْو من أخلاق الصالحين ، وربُّنا تبارك وتعالى يقول مُحَرِّضًا عبادَه على العَفْو : (وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)[1] .. وقد فرض الله تبارك وتعالى القِصَاص فى الدماء وفى الجروح ، ومع ذلك حثَّ على العَفْوِ ، وبشرَّ عليه فقال : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ)[2] .. ويقول رسول الله (ﷺ) : (**ثَلاَثٌ وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده إنْ كُنْتُ لَحَالفًا عَلَيْهِنَّ : لاَ يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَة ، فَتَصَدَّقُوا .. وَلاَ يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَة يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّه إلاَّ زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. وَلاَ يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَة إلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْه بَابَ فَقْرٍ**)[3] ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : (**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله** (ﷺ) **مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللَّه ، فَإذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّه شَيْءٌ كَانَ أشَدَّهُمْ فِى ذَلِكَ غَضَبًا .. وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أمَرينِ إلاَّ اخْتَارَ أيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثَمًا**)[4] ..

---

[1] سورة البقرة آية ٢٣٧ .

[2] سورة المائدة آية ٤٥ .

[3] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

[4] رواه الْحُمَيْدِىّ فى مسنده .

ورُوِىَ أن رجلاً دخل على « عُمَر بن عَبْد العَزيزِ » (رحمه الله) فجعل يشكو إليه رَجُلاً ظَلَمه ، ويقع فيه [1] ، فقال له « عُمَرُ » : (**إنَّكَ إنْ تَلْقَى اللهَ وَمَظْلَمَتُكَ كَمَا هِيَ خَيرٌ لَكَ مِنْ أنْ تَلْقَاهُ وقَد انْتَقَصْتَها**)[2] .. وقال بعض العارفين : (**لَيْسَ الْحَليمُ مَنْ ظُلِمَ فَحَلُمَ حَتَّى إذا قَدَرَ انْتَقَمَ ، ولكِنَّ الْحَلِيمَ مَنْ ظُلِمَ فَحَلُمَ حَتَّى إذَا قَدَرَ عَفَا**) ..

وقد بَشَّر الله تبارك وتعالى العافين عن الناس ، وأمر بالعَفْوِ فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ، ومنها : (فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[3] .. (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ)[4] .. (وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[5] .. (فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ)[6] .. (وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ)[7] ..

والعَفْو من صفات الحق تبارك وتعالى ، فهو يعفو عن الْمُذْنبين ، ويغفر للمُسْتَغْفرين ، مهما عَظُمَت ذُنُوبُهم .. ومن الدعاء المأثور : (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ ، فَاعْفُ عَنِّي**)[8] .. وعلى الرغم من أن الله تبارك وتعالى قد أجاز

---

(1) يقع فيه : يَسُبُّه ويَغْتابه ويَعِيب عليه .

(2) كتاب الصمت لابن أبى الدنيا .

(3) سورة المائدة آية ١٣ .

(4) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

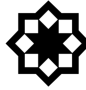
(5) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(6) سورة البقرة آية ١٠٩ .

(7) سورة النور آية ٢٢ .

(8) رواه الترمذى كتاب الدعوات .

للمظلوم أن ينتصر لنفسه دون تجاوز ، إلا أنه وعد العَافِين بالأجر العظيم ، فقال : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1] .. ومهما كان انتصار العبد لِنَفسِه فلن يبلغ مقدار ما وعده الله به من أجر إن عفا ، فإنَّ ما عندنا ينفد ، وما عند الله باق ..



[1] سورة الشورى آية ٤٠ .

الصَّفْح

الصَّفْحُ : نسيان الإساءة ، وإزالة أثرها من القلب .. وهو أبلغ من العفو ، وأعلى منه درجة .. والصفح من الأخلاق التى أمر بـــها الله فى مواضع كثيرة من القرآن .. منها : (فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)(1) .. (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ)(2) .. (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ)(3) .. (فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ)(4) .. (فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ) (5) ..

والعفو والصفح من عزائم الأمور التى لا يقوى عليها إلا من امتلأ قلبه بالإيمان ، كما أن الإحسان لا يقدر عليه إلا الأبرار ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)(6) ..

والصفح من خُلُق الأنبياء والمقرَّبين .. وما حدث مع سيدنا « يُوسُف الصِّدِّيق » (عليه السلام) خير مثال لذلك ، فقد حسده إخوته على حُبِّ أبيه له ، فكادوا له ، وألقوه فى البِئْر ، وحدث له ما حدث ، وحين آتاه الله الْمُلْكَ ، وجاءه إخوته – وهم فى موقف الضعف – يطلبون الطعام ، كان فى إمكانه أن يقتصَّ منهم ، ويعاقبهم ، لكنه عفا ، وصفح ، ولم يعاقب ، أو يعاتب ، بل ودعا لهم بالمغفِرَة ، كما حكى القرآن

(1) سورة المائدة آية ١٣ . (2) سورة الشورى آية ٤٠ . (3) سورة الشورى آية ٤٣ .
(4) سورة البقرة آية ١٠٩ . (5) سورة الحجر آية ٨٥ . (6) سورة فصلت الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

عنه : (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)[1] .. وكذلك فعل سيدنا « يَعْقُوبُ » (عليه السلام) مع بَنِيهِ الذين تسبَّبوا فى ضياع ابنه منه سنين عديدة ، وسبَّبوا له الحزن والألَم ، وبكى حتى فقد بصره ، كما يحكى القرآن : (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[2] .. وتدور الأيام ويفىء الأبناء ، ويُقِرُّون بخطئهم ، ويعتذرون لأبيهم ، فيعفو عنهم ، ويصفح ، ويدعو الله لهم بالمغفرة والرحمة ، وكان فى إمكانه أن يعاقبهم ، أو يقاطعهم ، أو يدعو عليهم ، جزاء ما اقترفت أيديهم .. ولكنه خُلُق الأنبياء : (قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)[3] .. وكذلك كان نبيُّنا (ﷺ) حين فُتِحَت له مكة ، وخضع أهلها ، وجاءوه مستسلمين ، وسألهم : (**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟**) **قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .. قَالَ** : (**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**)[4] .. وعفا عنهم ، وصفح على رغم ما فعلوه به ، وبِمَنْ آمن معه ، ولم يُعَاتِبْهم ، أو يُذَكِّرْهم بما حدث منهم ، أو يُقَرِّعْهم ، أو يَمُنَّ عليهم بعفْوِه .. وهذا هو الصفح الجميل الذى أمره الله به ، صفح بغير لوم ، أو تقريع ، أو عتاب ..

والصفح كما هو خُلُق الأنبياء ، هو كذلك خُلق الصِّدِّيقين ، والأبرار .. وقد كان لأبى بَكرٍ الصِّدِّيق (رضي الله عنه) قريب فقير - يُدْعَى « مِسْطَح بن أُثَاثَة » - يُنْفق عليه ،

[1] سورة يوسف آية ٩٢ . [2] سورة يوسف آية ٨٤ . [3] سورة يوسف الآيتان ٩٧ ، ٩٨ .

[4] سيرة ابن هشام .

ويرعاه .. فلما حدثت قصة الإِفْكِ ، وتكلم المنافقون فى حَقِّ السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) ، وتناقل بعض المسلمين ما يقوله المنافقون ، كان « مِسْطَح بن أُثَاثَة » قد تكلَّم بما تكلم به المنافقون .. وحين علم « أبو بكر » بذلك غضب ، وأقسم أن يمتنع عن الإنفاق على هذا الذى قابل إحسانه بالإساءة ، فنـــزل قول الله عز وجل : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1] .. وكأن العَفْوَ عن الناس يجلب عَفْوَ الله ، فَمَنْ أراد أن يغفر الله له ، فعليه أن يغفر للناس ، ويصفح عنهم .. وحين سمع « أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق » (رضي الله عنه) الآيات قال : (**بَلَى وَاللَّهِ ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي**)[2] ، وأعاد النفقة إلى مِسْطَحٍ ، ولم يُعنِّفه ، أو يعاتبه ..

ويُرْوَى أن رَجُلاً وَقَعَ بِأَبِي بَكْرٍ [3] فَآذَاهُ - ورَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ - فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ فَانْتَصَرَ مِنْهُ [4] أَبُو بَكْرٍ .. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوَجَدْتَ [5] عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ** [6] ، **فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ**

---

[1] سورة النور آية ٢٢ .
[2] رواه البخارى كتاب الشهادات .
[3] وقع بأبى بكر : شتمه .
[4] انتصر منه : رَدَّ عن نفسه الأذى .
[5] الوجد : الحزن .
[6] وقع الشيطان : أى حضر .

إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ) [1] ..

وقد جاء رجل إلى « علي بن الحسين » (رضي الله عنهما) فقال : إن فلانًا شتمك و قال عنك كذا و كذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه و هو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : (**يَا أَخِي إِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ حَقًّا فَغَفَرَ اللهُ لِي ، و إن كان ما قُلْتَ فِيَّ بَاطِلاً فَغَفَرَ اللهُ لَكَ**) [2] ..

وحين افْتَخَرَت قريش عند « سَلْمَان الفَارِسيّ » (رضي الله عنه) قال : (**لَكِنِّي خُلِقْتُ مِنْ نُطْفَة مَذِرَة ، ثم أَعُودُ جِيفَة مُنْتِنَة ، ثم يُؤْتَى بِالْمِيزَان ، فَإِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينِي فأنا كَرِيمٌ ، وإِنْ خَفَّتْ فأنا لَئِيمٌ**)[3] ..

ويُرْوَى أن جَارِيَةً سكبت لـــ « عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ » (رضى الله عنهما) مَاءً لِيَتَوَضَّأَ ، فَسَقَطَ الإِبْرِيقُ مِنْ يَدِهَا عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا ، فقالت الْجَارِيَة : إن الله تَعَالَى يقول : (وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ)[4] فقال : (**قد كَظَمْتُ غَيْظِى**) .. قالت : (وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ)[5] فقال : (**عَفَا اللهُ عَنْكِ**) .. فقالت : (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) [6] قال : (**اذْهَبِى فَأَنْتِ حُرَّةٌ لوجه الله تعالى**)[7] ..

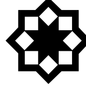
وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال : إِنَّ لِي قَرَابَةً : أَصِلُهُمْ ، وَيَقْطَعُونِي .. وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ .. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ .. فَقَالَ : (**لَئِنْ**

---

(1) رواه أبو داود كتاب الأدب .
(2) كتاب الكبائر للذهبي .
(3) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الأحوص .
(4) سورة آل عمران آية ١٣٤ .
(5) سورة آل عمران آية ١٣٤ .
(6) سورة آل عمران آية ١٣٤ .
(7) كتاب البداية والنهاية لابن كثير .

كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ [١] ، **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ** [٢] **عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**) [٣] ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**) [٤] ..



---

[١] تسفهم الملّ : تطعمهم الرماد الحار .

[٢] ظهير : نصير ومعين ودافع للأذى .

[٣] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

[٤] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

النَّصِيحَة

« النَّصِيحةُ » : من النُّصُوح ، و« النَّاصِح من الأشياء » : الخالص من الشوائب ، وكأن النصيحة هى القول الخالص من الغرض الذى يُبْتَغَى به مصلحة مَنْ تُقَالُ له ، دون النظر إلى أجر ، أو مقابل .. والنصيحة مطلوبة من كل مُسْلِمٍ ، فقد رُوِىَ عن جَرير بن عبد الله (رضي الله عنه) أنه قال : (**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) عَلَى : شَهَادَة أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَة ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاة ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَة ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)[١] .. وحين قال النبى (ﷺ) : (**إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .. إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .. إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ**) قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (**لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِه ، وَلِرَسُولِه ، وَلأَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**)[٢] .. وقد جاء هذا المعنى فى قول الله عَزَّ وجَلَّ : (لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٣] .. والنصيحة من خُلُق الأنبياء .. وما منهم أحد إلا وأخلص النُّصْحَ لقومه ، كما حكى القرآن عنهم ، فها هو « نوح » يقول : (يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[٤] .. وها هو « هود » يقول : (أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[٥] .. ويقول « صالح » : (يَٰقَوْمِ لَقَدْ

---

[١] رواه البخارى كتاب البيوع . [٢] رواه النسائى كتاب البيعة . [٣] سورة التوبة آية ٩١ .
[٤] سورة الأعراف الآيتان ٦١ ، ٦٢ . [٥] سورة الأعراف آية ٦٨ .

أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ)[1] .. وكذلك يقول « شعيب » : (يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٍ كَٰفِرِينَ)[2] ..

والتناصُح من أخلاق المؤمنين التى تُنْجِيهم يوم القيامة ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ)[3] ..

والنصيحة مطلوبة من كل الناس ،ولِكُلِّ الناس : فالعلماء ينصحون العامة ، والأب ينصح أولاده ، والأخ ينصح أخاه ، وبالتَّنَاصُحِ يسعد الجميع .. والنصيحة فى أمور الدين هى : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وقد قال (ﷺ) : (**وَالَّذي نَفْسي بِيَده ، لَتَأْمُرُنَّ بالْمَعْرُوف ، وَلَتنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ**)[4] .. والقرآن مليء بالأمثلة فى النصح فى الدين ، منها : (وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا وَهُم مُّهۡتَدُونَ)[5] .. (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ)[6] .. (وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ

---

(1) سورة الأعراف آية ٧٩ . (2) سورة الأعراف آية ٩٣ . (3) سورة العصر الآيات من ١ : ٣ .
(4) رواه الترمذى كتاب الفتن . (5) سورة يس الآيتان ٢٠ ، ٢١ . (6) سورة غافر آية ٢٨ .

يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ)[1] ..

والنصح فى أمور الدنيا مطلوب أيضًا فها هى ابنة « شعيب » تنصح أباها كما حكى القرآن عنها : (قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)[2].. وحكى القرآن عن الذى نصح « موسى » (عليه السلام) : (وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ)[3] ..

والخيانة فى النصيحة ، أو الغش فيها من قبيل شهادة الزور ، وكتمانـها عمن يحتاج إليها من قبيل كتمان الشهادة .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[4] ..

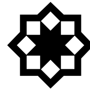
والنصيحة يجب أن تكون بالْحِكْمَةِ ، والأدب اللائق بِمَنْ تنصحُه ، وأن تكون فى السِّرِّ ، فالنصيحة فى العلن فضيحة ، وأن تكون خالصة لوجه الله ، وألاّ يُراد بـها إظهار خطأ الغير ، أو رجاحة عقل الناصح ، وحُسْن تدبيره .. ومن الأمثلة التى يجب الاقتداء بـها ، والاعتبار بـها نصيحة « إبراهيم » (عليه السلام) لأبيه ، وموعظة « لقمان » لابنه .. وقد كان علماء السَّلف يطلبون مقابلة الأمراء ، والحكام ، لِيُقَدِّموا لهم النصح فى الله سِرًّا ، كيلا يؤَلِّبوا الرعية عليهم ، أو يكشفوا

---

(1) سورة غافر الآيتان ٣٨ ، ٣٩ . (2) سورة القصص آية ٢٦ . (3) سورة القصص آية ٢٠ .
(4) سورة البقرة آية ٢٨٣ .

عوراتـــهم ، أو يُثيروا الفِتَن ، كما كان الأمراء يحيطون أنفسهم بالعلماء فى كل مجال : يَسْتَنصِحُونَهم ، ويطلبون مَشُورَتَهم ، وقد علَّمنا رسول الله (ﷺ) ذلك حين كان يخرج على أصحابه ويقول : (**أَشِيرُوا عَلَيَّ**)[1] .. وذلك فى أمور الدنيا ، أو الحرب ، وقد قَبِلَ مشورة « سَلْمَان الفارسى » فى حفر الخندق فى غزوة الأحزاب ، كما قَبِلَ مشورة غيره فى غزوة « بَدْر » ، وغَيَّر مكان نزول جيشه .. ويحكى لنا القرآن عن مَلِكَة « سَبَأ » ، وكيف استشارت أهل الرأى من قومها : (قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ)[2] .. وقد كان « عمر ابن الخطاب » (رضي الله عنه) يحيط نفسه بأصحاب رسول الله (ﷺ) يستنصحهم فى أمور الدولة ، وينـــزل على رأيهم ، حتى قيل فى شأنه : إنه كَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[3] ..

وينبغى للمسلم أن يقبل نصيحة أخيه المسلم ، ولا تأخذه العِزَّة بالإثم كالذى حكى عنه القرآن : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)[4] .. فالامتناع عن قبول النصح إثم ، وكذلك الامتناع عن بذل النصح إثم ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**ما خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ ، ولاَ نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ**)[5] ..



---

(1) رواه البخارى كتاب المغازى .
(2) سورة النمل آية ٣٢ .
(3) رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(4) سورة البقرة آية ٢٠٦ .
(5) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير .

الْعَدْل

« العَدْلُ » ضِدُّ الظُّلْمِ .. و« العَدْل » اسم من أسماء الله تعالى ، فهو الْحَكَمُ العَدْل .. و« العَدْلُ » : وَضْع كل شيء فى موضعه .. كما أن الظُّلم وضع الشيء فى غير موضِعِه .. وقد أمر الله تبارك وتعالى بالعَدْل فى كل الأمور ، وحال الرضا أو الغضب ، وسواء أكان الطرف الآخر قريبًا أم بعيدًا .. غَنِيًّا أم فَقِيرًا ، فقال فى محكم كتابه : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[1] ..

ولا يَصِحُّ للإنسان أن يقابل الظُّلْمَ بظُلْم .. كما لا يَصِحُّ أن تدفعه العداوة إلى الْمَيْل عن الحق .. بغض النظر عن اختلاف الجنس ، أو اللون ، أو الدِّين ، فالْعَدْل هو الْعَدْل ، والظلم ظُلُماتٌ يوم القيامة .. يقول الحق تبارك وتعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)[2] ..

ويبين الحق تبارك وتعالى أن الظلم يعود على صاحبه بالوبال فى الدنيا والآخرة ، فيقول : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[3] ..

---

(1) سورة النساء آية ١٣٥ .　(2) سورة المائدة آية ٨ .　(3) سورة يونس آية ٢٣ .

وقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصة « داود » (عليه السلام) مع الْخَصْمَيْن اللَّذَين احتكَمَا إليه ، فقال : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[1] .. ويبدو – والله أعلم – أن « داود » اتَّهم صاحب النعاج التسعة والتسعين بظُلْم أخيه قبل أن يسمع وجهة نظره .. فالآية لم تذكر إلا كلام صاحب النعجة الواحدة فقط ، وردَّ « داود » عليه .. وربما كان لصاحب النعاج حجة ، أو منطق ، أو رأى ، ولكنه لم يأخذ الفرصة للدفاع عن نفسه .. ولما كان « داوُد » (عليه السلام) نبيًّا ، فقد تَنَبَّه تَوًّا لِخَطَئِه ، فاستغفر ، وأناب إلى الله .. لذلك كان التعقيب الإلهى على الموقف : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[2] ..

ويبدو – والله أعلم – أن ما حدث من « داود » كان لشفقته على الفقير ، صاحب النعجة الواحدة ، وتوهمه ظلم الغَنِىّ له ، وطمعه فى نَعْجَتِه ، وذلك هو

(1) سورة ص الآيات من ٢١ : ٢٤ .
(2) سورة ص آية ٢٦ .

الهوى الذى نَهَاه الله عن اتِّباعه فى الآية سالفة الذكر .. لأن الأنبياء مُبَرَّءُون من اتِّباع الهوى الذى هو ما تَهْوَاه النَّفْسُ ، وتشتهيه ، أما الهوى المذكور فهو ميل نَفْسِه (عليه السلام) نحو الفقير صاحب النعجة الواحدة ، والعطف عليه ، والإشفاق على حاله ، لذلك كان التوجيه الإلهى : (إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ)[1] .. أى لا تميلوا إلى الفقير عطفًا وشفقة عليه ، ولا تميلوا إلى الغَنِىِّ طمعًا فيه ، أو رهبة منه ، فالله تبارك وتعالى يتولى الجميع .. وعليكم بالعَدْل المطلق دون النظر إلى حال الخصم مِن الضَّعْف أو القُوَّة أو الفَقْر أو الغِنَى ..

والحاكم العادل ضمن السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلّه ، وعنه يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ : الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ**)[2] .. كما أن الغدر في حق الحاكم أعظم ، وأفحش منه في غيره ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**)[3] ..

والحاكم هو ظِلُّ الله فى أرضه ، يأوى إليه المظلوم ، فينتصر له ، فالقوى عنده ضعيف حتى يَأْخُذَ الحقَّ منهُ ، والضعيف عنده قَوِىّ حتى يَأخُذَ الحقَّ لهُ ..

وقد فَضَّل بعض العلماء الحاكِم العَادِل ، وإن كان فاسقًا على الحاكم الظالم وإن كان صالحًا .. وقالوا : **عَدْلُ الْحاكِمِ للرَّعِيَّةِ ، وفِسْقُهُ على نَفْسِهِ .. وظُلْمُ الحاكِمِ عَلى الرَّعِيَّةِ ، وصَلاَحُهُ لِنَفْسِهِ ..**

---

[1] سورة النساء آية ١٣٥ . [2] رواه الترمذى كتاب الدعوات . [3] رواه مسلم كتاب الجهاد والسِّيَر .

ودوامُ الْمَمَالِكِ بالعَدْلِ ، فالعَدْلُ أساس الْمُلْك ، وخراب الْمَمَالِك بالظلم .. والله تبارك وتعالى يقول : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] ..

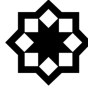
وقد أجاز ربُّنا تبارك وتعالى للمظلوم أن ينتصِفَ لنفسه دون مجاوزة الحدّ ، وهدَّد الظَّالِم بالعذاب الأليم ، فقال : (وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2] ..

وقد أهلك الله أُمَمًا كثيرة بسبب التَّظَالُم بينهم : فقوم « شُعَيْب » مثلاً كانوا يَبْخَسُون الناس أشياءهم ، ونَصَحَهُمْ نبيُّهم بأن لا يُنْقِصُوا المكيال والميزان ، فأبوا إلا ظُلْم بعضهم بعضًا ، فأهلكهم الله .. والنبى (ﷺ) يحذِّر الأمة من عدم إقامة العدل بينهم ، فيقول : (**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ : أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ**)[3] ..

وكما أن العَدْل بين الناس مطلوب ، فكذلك العَدْل مع النفس مطلوب .. فظُلْم النَّفْس مهلكة .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : (مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)[4] .. ويقول : (وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[5] .. ويقول : (وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[6] .. **فظُلْمُ**

(1) سورة النمل آية ٥٢ .
(2) سورة الشورى الآيتان ٤١ ، ٤٢ .
(3) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .
(4) سورة فصلت آية ٤٦ .
(5) سورة آل عمران آية ١١٧ .
(6) سورة النحل آية ١١٨ .

النفس : تعريضها لِلْعَذَابِ ، وحِرْمَانُها مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، وعَدَمُ تَزْكِيَتِها وتَطْهِيرِهَا ، وربنا تبارك وتعالى يقول : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)[1] .. فمَنْ طهَّر نَفْسه من الذُّنُوب ، وسلَّمها من العُيُوب ، وأوردها موارِد السلامة ، وجنَّبها موارِدَ التَّهْلُكَة ، كان عادلاً معها .. ومَنْ تركها تنهل مِن المعاصى ، وتنال ما تشتهيه ، دون أن يكبَحَ جِمَاحَها ، كان ظالمًا لنفسه .. فرسول الله (ﷺ) يقول : (**النَّاسُ غَادِيَانِ** [2] : **فَمُبْتَاعٌ** [3] **نَفْسَهُ ، فَمُعْتِقُهَا .. وَبَائِعٌ نَفْسَهُ ، فَمُوبِقُهَا** [4])[5] ..



[1] سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ . [2] الغدوة : الخروج أول النهار . [3] مبتاع : مشترى .
[4] موبقها : أى مهلكها . [5] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

الصِّدْق

الصِّدْقُ ضِدُّ الكَذِبِ .. وهو القُوَّة التى تبعث الإنسان على الاستمرار فيما هو عليه ، وتحول بينه وبين النكوص والتردُّد .. وهو أنواع : فهناك الصدق فى الاعتقاد ، والصدق فى النِّيَّة ، والصدق فى القول ، والصدق فى العمل .. وإليك البيان :

١- الصِّدْقُ فى الاعْتِقَاد :

وهو أن تعلم أن الله موجود ، وأنه واحد لا شريك له ، قادر على كل شىء ، لا يقع فى ملكه إلا ما يُريد ، وهو الفَعَّال لِمَا يُريد .. ولا يخالط عقيدتك هذه شكٌّ ، ولا شُبْهةٌ فى جميع أوقاتك وأحوالك .. وإن أصابتك سَرَّاء شَكَرْت ، وإن أصابتك ضَرَّاءُ صَبَرْت .. وعَلِمْتَ أن ما أصابك مِنْ حَسَنة فَمِنَ الله ، وما أصابك مِنْ سَيِّئة فَمِنْ نَفْسِك ، وأنَّ الله ليس بِظَلاَّم لِلْعَبيد ، ، وأنه يختبر عباده بِمَا يشاء ، فهو سبحانه القائل : (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ)[1] .. وكذلك يقول : (أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾)[2] .. ويصِفُ ربُّنا تبارك وتعالى غيرَ الصادقين فى اعتقادهم بقوله : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ)[3] .. وكذلك

---

[1] سورة العنكبوت الآيتان ٢ ، ٣ . [2] سورة آل عمران آية ١٤٢ . [3] سورة الحج آية ١١ .

بقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .. وعلامة صدق الاعتقاد أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليك مِمَّا سِواهما ، لقول النبى (ﷺ) : (**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)[2] .. وربُّنا تبارك وتعالى يصِف صِدق الاعتقاد بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[3] ..

٢- الصِّدْقُ فى النِّيَّة :

وهو أن تكون إرادة الخير عزيمةً صادقة فى القلب لا تشوبها أى شائبة من حظوظ النَّفْس .. ولا يعتَورُها ضعف ، أو ميل ، أو تردد ، وقد ورد عن النبى (ﷺ) أنه قال : (**يُؤْتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مَخَتَّمَةٍ ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَلْقُوا هَذِهِ ، وَاقْبَلُوا هَذِهِ .. فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ : وَعِزَّتِكَ ، مَا رَأَيْنَا إِلاَّ خَيْرًا !! .. فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي ، وَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي**)[4] .. وكذلك يُرْوَى عنه

---

[1] سورة العنكبوت آية ١٠ . [2] رواه مسلم كتاب الإيمان . [3] سورة الحجرات آية ١٥ .
[4] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط .

(ﷺ) أنه قال : (**مَنْ كَانَت الدُّنْيا هَمَّهُ : فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْه أَمْرَهُ ، وَجعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه ، وَلَمْ يَأْته منَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا كُتبَ لَهُ .. وَمَنْ كَانَت الآخرَةُ نيَّتَهُ : جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجعَلَ غنَاهُ في قَلْبه ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهيَ رَاغمَةٌ** (1))(2) .. وحين قال رسول الله (ﷺ) : (**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ ، فَإذَا كَانُوا ببَيْدَاءَ منَ الأَرْض ، يُخْسَفُ بأَوَّلهم وَآخرهمْ**) ، قَالَتْ السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : كَيْفَ يُخْسَفُ بأَوَّلهمْ وَآخرهمْ وَفيهمْ أَسْوَاقُهُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ منْهُمْ ؟! قَالَ : (**يُخْسَفُ بأَوَّلهمْ وَآخرهمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نيَّاتهمْ**)(3).. ويقول (ﷺ) : (**إذَا الْتَقَى الْمُسْلمَان بسَيْفَيْهمَا فَالْقَاتلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّار**) .. قيل : يَا رَسُولَ اللَّه ، هَذَا الْقَاتلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُول ؟!.. قَالَ : (**إنَّهُ كَانَ حَريصًا عَلَى قَتْل صَاحبه**)(4) ..

والنية هى أساس الأعمال ، وعليها يُحَاسَبُ الإنسان ، لقول النبى (ﷺ) : (**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات ، وَإنَّمَا لكُلِّ امْرئٍ مَا نَوَى**)(5) .. وكلما كانت النِّيَّة صادقة كان العمل مُباركًا ، مُوَفَّقا ، مُثَابًا عليه ، وقد يُعَبَّرُ عن النِّيَّة بالإرادة أو بالقصد .. وهى ألفاظ تدل على معنى واحد ، وهو حالة وصِفَة للقلب يتقدمها علْم ، وثمرتـــها عمل : فالعِلْمُ بأن الشىء موافق للغَرَض الذى هو خير عاجل ، أو آجل ينشئ الرغبة فى تحصيله ، وتتحقق الإرادة فى القلب ، ويستقر العزم فيه على

---

(1) راغمة : مُنْقادة مُكْرهة ، ذليلة صاغرة .
(2) رواه ابن ماجه كتاب الزهد .
(3) رواه البخارى كتاب البيوع .. وذكر مسلم فى روايته : يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ ، فَلاَ يَبْقَى إلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ ..
(4) رواه البخارى كتاب الإيمان .
(5) رواه البخارى كتاب بدء الوحى .

تحصيل المطلوب ، فيأمر الأعضاء والجوارح بالتحرُّك لتحصيل المطلوب ، ويحدث العمل الذى هو ثمرة النية ..

وتتَّضِح أهمية الصدق فى النية وخطورته من الحديث الشهير الذى يُشير إلى الثلاثة الذين وجبت لهم النار مع أن أحدهم قُتِلَ شهيدًا ، والثانى كان مُنْفِقًا مُتصدِّقًا ، والثالث كان عَالِمًا قارِئًا ، لأن النية فى قلوبــــهم لم تكن صادقة لله ، بل كانت من أجل ثناء الناس عليهم ، ومدحهم لهم ، فقيل لأحدهم : لقد قاتلتَ لِيُقَالَ : شُجاع ، وقد قِيل .. وقيل للثانى : لقد أنفقت لِيُقَالَ : جواد ، وقد قِيل .. وقيل للثالث : لقد تعلَّمْت ، وقرأت لِيُقَالَ : عالِم ، وقد قِيل .. فلم يجدوا ثوابًا لعملهم ، بل وجدوا عقوبة الرِّياء ..

٣- الصِّدْقُ فى الْقَوْل :

وذلك يكون فى الإخبار ، أو فيما يتضمن الإخبار ، والخبر قد يتعلق بالماضى ، أو بالمستقبل ، ويدخل فيه الوعْد .. فمن حفِظ لسانه عن الإخبار بالأشياء على خلاف ما هى عليه ، فهو صادق .. والنبى (ﷺ) يقول : (**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه صِدِّيقًا .. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**)[١] .. والصدق من أخلاق المؤمنين ،

---

[١] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

وهو مِنْ صفات الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾[1] .. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[2] ..

والصدق من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فما من نبيٍّ بُعِثَ إلا وكان مُشْتَهِرًا بالصدق بين قومه ، وما كُذِّب الأنبياء لشُبْهة ، أو خلل فى كلامهم ، ولكن كُذِّبوا حسدًا ، وبَغْيًا .. يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[3] .. وحين سَأَل هِرَقْلُ أبا سُفْيانَ عن النبى (ﷺ) قائلاً : **هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ .. قال أَبُو سُفْيَانَ : لا .. فقال هِرَقْلُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ**[4] ..

ومن الغريب أن يمتنع « إبْرَاهيم » (عليه السلام) عن الشفاعة للناس يوم القيامة قائلاً : (**إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ**)[5] !! .. سبحان الله .. ثلاث كذبات فقط فى حياته !! وقد كانت من المعاريض ، ولم تكن كذبًا صريحًا ، وكانت لغرض صحيح شريف ، **فالأولى** : هى قوله لقومه كما يحكى القرآن عنه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾[6] .. وذلك حين حطَّم أصنامهم جميعها ، وترك أكبرهم ليُلزمهم الْحُجَّة .. **والثانية** : قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾[7] .. مُدَّعِيًا

---

(1) سورة النساء آية ١٢٢ .
(2) سورة النساء آية ٨٧ .
(3) سورة الأنعام آية ٣٣ .
(4) رواه البخارى كتاب الجهاد والسِّيَر .
(5) رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .
(6) سورة الأنبياء آية ٦٣ .
(7) سورة الصافات آية ٨٩ .

المرض ، حتى لا يخرج معهم فى يوم عيدهم ، ولتتاح له الفرصة لتحطيم الأصنام .. أما **الثالثة** : فقوله لامرأته : (**يَا سَارَةُ ، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي ، فَلاَ تُكَذِّبِينِي**) [1] .. وذلك حتى يتقى شَرَّ الْجَبَّار الذى لو عَلِمَ أن « إبراهيم » (عليه السلام) زوجها لَقَتَلَه ..

وقد رُوِىَ أن رسول الله (ﷺ) سُئِلَ : يا نبي الله ، هل يزني المؤمن ؟! قال : قد يكون ذلك .. قِيلَ : يا رسول الله ، هل يسرق المؤمن ؟! قال : قد يكون ذلك .. قيل : يا نبي الله ، هل يكذب المؤمن ؟! قال : لا .. ثم أتبعها (ﷺ) بقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ)[2] .. [3]

٤- الصِّدْقُ فى الْفِعْل :

وهو أن تكون أفعال الْمَرْء الظاهرة موافقة لِمَا فى باطنه ، وعلانيته مُتَّفِقة مع سَرِيرَتِهِ ، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على مثل هؤلاء بقوله : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾) [4] .. وفى المقابل يحكى القرآن عن الذى لم يصدق فى فعله : (وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ

---

[1] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .
[2] سورة النحل آية ١٠٥ .
[3] رواه الخرائطىّ كتاب مساوئ الأخلاق .
[4] سورة الأحزاب آية ٢٣ .

إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾)[1] ..

وهناك مثال واضح للصدق فى الفعل المتفق مع الصدق فى النية .. فقد بعث رسول الله (ﷺ) عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ (رضي الله عنه) فى سَرِيَّة من تسعة أفراد ، فوقعوا فى كمين نصبه لهم الكفار ، وحاصروهم ، وأمروهم بالاستسلام ، ولهم الأمان .. فاستسلم بعض مَنْ كان معه ، أما هو فأبى أن ينــزل فى ذِمَّة كافر – وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركًا أبدًا – وصمم على موقفه ، وقاتل بالسهام حتى قُتِلَ ، فلما قُتِل عاصم أراد المشركون أخذ رأس عاصم لامرأة من مكة نذرت لئن قَدَرت على عاصم لتشربن فى رأسه الخمر انتقامًا لمقتل ولديها فى غزوة بدر ، فمنعه الدَّبْر[2] ، فقالوا : دعوه يُمْسِى فتذهب عنه الدَّبْر ونأخذه فى الصباح ، فأرسل الله سيلاً فى الوادى احتمل عاصمًا وذهب به ، ولم يُعْرف له مكان .. فكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعته : (**يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِن ، كَانَ عَاصِمُ نَذَرَ أَنْ لاَ يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ، ولاَ يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاته ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاته**)[3] ..

ويأمر رَبُّنا تبارك وتعالى عباده بالصدق ، فيقول : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾)[4] .. ويذكر تبارك وتعالى الصدق فى مجال الثناء على الأنبياء والصالحين بقوله : (وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ

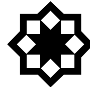
---

[1] سورة التوبة الآيات من ٧٥ : ٧٧ .   [2] الدبر : ذكور النحل .   [3] سيرة ابن هشام .

[4] سورة التوبة آية ١١٩ .

وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾)[1] .. وبقوله : (وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾)[2] ..

والصدق دليل على تَحَرُّر العبد من العبودية لغير الله .. فالكذب فى القول يكون إما بسبب الخوف مِمَّن يُكْذَبُ عليه ، أو بسبب الطمع فيما عنده .. والعبد المؤمن لا يخاف إلا من الله ، ولا يطمع إلا فيما عند الله ، والصدق دليل على الإيمان الكامل .. فمن عرف الله كان صادقًا فى اعتقاده .. صادقًا فى نِيَّته .. صادقا فى أقواله .. صادقًا فى أفعاله .. لا يخشى إلا الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يبالى بِمَنْ عداه .. فرضاء الله هو الغاية .. وحُبُّ الله هو المقصد .. ولقاء الله ، والنظر إلى وجهه الكريم هو الأمل المنشود ..



(1) سورة مريم آية ٥٤ .

(2) سورة الزمر الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

الإخْلاَص

« الإخلاص » من « الْخُلُوص » .. فكل شيء صفا عما يشوبه ، وخَلَص منه فهو خَالِصٌ ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] .. فهو خالص لا أثر فيه للدَّم ، أو الفَرْث من : لون ، ورائحة ، وكثافة ، ولزوجة .. وإنما هو أبيض نقيّ ، ذو كثافة خاصة ، وصفات خاصة ، تخالف ما يحيط به .. ويُسَمَّى الفعل الْمُصَفَّى الخالِصُ من كل الشوائب : إخْلاَصًا .. وقد جرت العادة على وصف الأفعال المجردة من كل قصد – سوى قصد التقرب إلى الله تبارك تعالى – بصفة الإخلاص ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[2] .. ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[3] .. ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] .. ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾[5] ..

وقد اختلفت أقوال الشيوخ فى تعريف الإخلاص ، فمنهم من يقول : **الإخلاص صِدْقُ النيّة مع الله** .. ومنهم من يقول : **الإخلاصُ نسيانُ رؤيةِ الخلقِ بدوام النظر إلى الحقِّ** .. ومنهم من يُعَرِّفه بقوله : **الإِخلاصُ ما اسْتترَ عن الخلائقِ ، وصَفَا عَن العلائقِ** .. ومنهم من قال : **الإخلاصُ تجْرِيدُ قصدِ التقربِ إلى الله عن جميع الشوائِبِ** .. والْخُلاصة أن الإخلاص يعنى : أن يكون العمل خالصًا لوجه الله عز

(١) سورة النحل آية ٦٦ .
(٢) سورة البينة آية ٥ .
(٣) سورة الزمر آية ٣ .
(٤) سورة الزمر آية ١١ .
(٥) سورة الزمر آية ١٤ .

وجل ، لا تشوبه شائبة من رياء ، أو سُمْعَة ، أو ابتغاء مدح وثناء ، ودون انتظار أجر ، أو منفعة دُنْيويَّة من أحد ، كما جاء فى قوله عز وجل : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا)[١] .. والإخلاص فى العمل ثمرة الإخلاص فى العقيدة .. ومن أمثلة الْمُخْلصين فى العمل السَّبْعة الذين ذُكرُوا فى قول رسول الله (ﷺ) : (**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّه ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ .. وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّه .. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِد إِذَا خَرَجَ مِنْهُ ، حَتَّى يَعُودَ إِلَيْه .. وَرَجُلاَن تَحَابَّا فِي اللَّه ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا .. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَة فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**)[٢] ..

كل هذه الأعمال هى أعمال خالصة لوجه الله الكريم ، فسينال أصحابها ما لا يناله إلا ذو حَظٍّ عظيم .. فمَنْ أظلَّه الله فى ذلك اليوم بظلِّه فلا شك أنه ذو حَظٍّ عظيم ، فرسول الله (ﷺ) يَقُولُ : (**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَة مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَق : فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْه ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْه ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْه** [٣] ، **وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ** [٤] **الْعَرَقُ إِلْجَامًا**) .. **وَأَشَارَ (ﷺ) بِيَده إِلَى فِيه** [٥] .. [٦]

---

[١] سورة الإنسان آية ٩ .
[٢] رواه مالك فى الموطأ .
[٣] الحقو : موضع عقد الإزار فى وسط الجسم .
[٤] يلجمه : يصل إلى فمه فيصير له بمنـزلة اللجام للدابة .
[٥] فيه : فَمِه .
[٦] رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

والإخلاص نوعان أو قسمان ينال الناس منهما بحسب درجاتـــهم من القُرْب من الله ، والمنـــزلة عنده ، فمنهم المخلِصون ، ومنهم المخلَصون .. فأما المخلِص : فهو الذى اكتسب إخلاصه بتوفيق الله له ، ومواظبته على تبرئة أعماله من كل الشوائب ، وجعلها خالصة لوجه الله عز وجل .. وأما المخلَص : فهو الذى نال هذا المقام باجتباء الله ، واصطفائه له ، فهو مِنْحة وهِبَة من الله اختص بـــها بعض عباده كما جاء فى قوله : (وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾)[1] .. (وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾)[2] .. وهؤلاء الْمُخْلَصُون لا سلطان للشيطان عليهم مطلقًا ، كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ)[3] .. (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ)[4] ..

هذا .. ويرتبط الإخلاص بالصدق ارتباطًا وثيقًا ، إذ من شروط صِحَّة الإخلاص : الصدق فيه .. ومن شروط صحة الصدق : وجود الإخلاص فيه ، ويتضح ذلك من قول رسول الله (ﷺ) : (**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**)[5] أى لابد أن يكون مخلصًا فى إسداء النصح لِمَنْ يستشيره ، صادقًا فى قوله ونصحه ، غير منتظر لِشُكْر أو جزاء ، إلا من

---

(1) سورة ص الآيات من ٤٥ : ٤٧ . (2) سورة مريم آية ٥١ . (3) سورة ص الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .
(4) سورة الحِجْر الآيتان ٣٩ ، ٤٠ . (5) رواه الترمذى كتاب الأدب .

عالِم الْخَفِيَّات سبحانه وتعالى .. وإن وَافَقَتْ نصيحته خيرًا لِمَنْ عمل بـــها فلا يَمُنُّ عليه بذلك ، ولا يُعْجَبُ برأيه ، بل ينسب الفضل فى إلهامه بالسَّدَادِ فى النُّصْحِ إلى المولى عَزَّ وجَلَّ ..

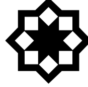
هذا .. وباب التوبة لغير المخلصين مفتوح على مصراعيه ، لقول الله عز وجل : (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾)[١] ..

والإخلاص لازم فى العقيدة ، لازم فى النية ، لازم فى الأقوال ، لازم فى الأفعال .. حكمه حكم الصدق .. فلا صدق بغير إخلاص فيه ، ولا إخلاص بغير صدق فيه .. ويتضح ذلك فى كثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .. ففى شأن الإخلاص فى العقيدة قال النبى (ﷺ) حين سُئِل عن أسْعَد الناس بشفاعته يوم القيامة : (**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ – أَوْ نَفْسِهِ –**)[٢].. وتتضح ثمرة الإخلاص فى الأقوال فى قول الله عز وجل : (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾)[٣] .. وكأن الإخلاص فى الأقوال تأمين لمستقبل الأولاد لو مات عائلهم .. بل إنه كذلك سبب فى صلاح الأحوال ، وغفران الذنوب كما وعد الحق تبارك وتعالى بقوله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا

[١] سورة النساء الآيتان ١٤٥ ، ١٤٦ . [٢] رواه البخارى كتاب العلم . [٣] سورة النساء آية ٩ .

﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] ..

وبعض السادة العلماء والشيوخ يرون أن الإخلاص الكامل يكون بِمُرَاقَبَةِ الأَنْفَاسِ ، فَهُمْ مَعَ كُلِّ شَهِيقٍ وزَفِيرٍ ، يَشْعُرُونَ بِإِقَامَةِ القَيُّومِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وإِبْقَائِه لَهُمْ .. غير مُؤَمِّلِين بِالْحَياة الدُّنْيا ، يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ مَعَ كُلِّ حَرَكَةٍ وسَكَنَةٍ .. فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَصْبَحَ لَمْ يَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وإِذَا أَمْسَى لَمْ يَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ .. ومِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَخَذَ نَفَسًا لَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ يُخْرِجَهُ ، مُعْتَبِرِينَ ذَلِكَ هُوَ الإِخْلَاصَ الأَعْلَى مَرْتَبَةً ، إِذِ الْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَالِصًا لِسَيِّدِه ومَوْلَاه ، فِى كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ ، مُسْتَدِلِّينَ عَلَى رأيهم بقول الحق تبارك وتعالى لِسَيِّدِ الْمُخْلِصِين والْمُخْلَصِين : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] ..



---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ ، ٧١ .
[2] سورة الأنعام الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

الصَّبْــر

« الصَّبْرُ » : هو حَبْس النَّفْسِ على ما يقتضيه العقل والشَّرْع ، وقال بعض العلماء : ربما خُولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه : فإن كان استسلامًا عند المصيبة سُمِّى : صَبْرًا لا غير ، وضِدُّه الجزع .. وإن كان فى القتال سُمِّى : شجاعة ، وضِدُّه الْجُبْن .. وإن كان على ما يضايق من كلام الغير سُمِّى : رحابة صدر ، وضِدُّه الضجر .. وإن كان فى إمساك الكلام سُمِّى : كتمانًا ، وضِدُّه الهذر ..

وكل ذلك يُسمَّى صبرًا كما يُسمَّى حبس النفس على الطاعة ، والعبادة ، ومجاهدة الهوى ، والبعد عن المعاصى – صبرًا كذلك .. ويطالبنا الله عز وجل فى كتابه العزيز بجميع أنواع الصبر فى قوله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾)[1] ..

والصَّبْر خُلُق من أخلاق الإسلام اكتمل فى سَيِّد الأنام (ﷺ) الذى وصفه ربه عز وجل بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾)[2] .. وهو أيضًا من خُلُق المرسلين إذ يقول الحق تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى (ﷺ) : (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ)[3] ، مما يشير إلى أن صبرهم هو أعلى مقام فى الصبر ..

والإنسان لا يمكن له أن يَتَحَلَّى بخلق الصبر إلا بتوفيق الله له ، وتقويته عليه ، إذ يقول : (وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ)[4] .. ومع أن الله هو الهادى للصبر ، والموفق

---

(1) سورة آل عمران آية ٢٠٠ . (2) سورة القلم آية ٤ . (3) سورة الأحقاف آية ٣٥ .
(4) سورة النحل آية ١٢٧ .

له ، إلا أنه – مع ذلك – بَشَّر الصابرين بقوله : (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ)[1] .. والصبر من ألزم الأمور فى كل العبادات : فمثلاً سُمَّى شهر رمضان بشهر الصبر حيث يصبر الإنسان فيه على الجوع ، والعطش ، والإمساك عن الشهوات المباحة فى غير وقت الصوم .. ولذلك كان جزاء الصوم وفيرًا وعظيمًا كما جاء فى الحديث القدسىّ : (**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**)[2] ..

والصبر لا يكون صحيحًا ما لم يكن مُتَلَبِّسًا بالإخلاص .. فالصائم فى خلوته لا يراه إلا الله .. فهو عبادة لا يطلع عليها إلا الله ، ومن أجل ذلك كان جزاء الصوم غير معلوم لأحد سوى الله ..

أقسَام الصَّبْــر : الصبر أربعة أقسام :

١– الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَة :

وذلك بالامتثال لأوامر الله عز وجل ، مهما تكلَّف العبد فيها من مشقة أو جهد : كالصبر على الصيام ، والقيام ، وأداء الفرائض المختلفة ..

٢– الصَّبْرُ عَنِ الْمَعَاصِى :

وذلك باجتناب كل ما نَهَى الله عنه ، وكل ما يُعَرِّض الإنسان لغضب الله وسخطه ، كما جاء فى الآية الجامعة : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى

---

[1] سورة البقرة الآيات ١٥٥ : ١٥٧ . [2] رواه البخارى كتاب الصوم .

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[1] ..

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِى طَاعَةِ اللهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخطَايَا وَالذُّنُوبَ**)[2] ..

٣- الصَّبْرُ عَلَى النِّعْمَة :

وذلك بمعرفة مصدرها ، ألا وهو فضل الله عز وجل ، والعمل فيها بطاعة الله حتى لا تُطْغِى صاحبها أو تُنسيه .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ)[3] .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَان ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى**)[4] .. ومِنْ دعائه (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ**)[5] ..

٤- الصَّبْرُ عَلَى الْبَلاَء :

وذلك بالرضا بالقضاء والقدر ، وعدم الشكوى أو الجزع .. واستعواض الله فيما ضاع ، أو فقد ، أو نقص من مال ، وولد ، وصحة ، وما إلى ذلك .. والله تبارك وتعالى يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[6] .. ويقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ

---

[1] سورة النحل آية ٩٠ . [2] رواه ابن حبان فى صحيحه . [3] سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧ .
[4] رواه أحمد مسند الأنصار . [5] رواه البخارى كتاب الدعوات . [6] سورة البقرة آية ١٥٥ .

مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [1] ..

هذا .. وحين سُئِل رسول الله (ﷺ) : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : (**الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ** [2] **ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ** [3] **الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**)[4] .. وهناك أنواع من الابتلاء لا جزاءِ لِمَنْ يصبر عليها إلا الجنة .. فالنبى (ﷺ) يقول : (**إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ** [5] ، **فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**) [6] .. ويقول : (**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**)[7] .. وعلى الإنسان – إذا حل به خلاف ما يهواه من شدائد وغيرها – أن يرضى ، لما فى ذلك من جزيل العطاء .. فإن لم يكن من أهل مقام الرضا فلا أقل من أن يكون من أهل مقام الصبر .. وقد قال بعض الشيوخ : (**مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيْهِ قَطَعَ عَنْهُ الْعَلاَئِقَ ، وأَنْزَلَ بِهِ أَنْوَاعَ البَلاَيَا ، لِتَقُودَه إلى الرُّجُوعِ لِمَوْلاَه**) .. فمَنْ لم يتضرَّر ، أو يتضجَّر أو يتبرَّم ، فله الرضا والثواب الجزيل .. ومَنْ سخط ، وتبرم معترضًا على الأقدار الإلهية ، والأحكام الربانية ، كان له السخط ، وجرى المقدور بما سبق به الكتاب ، فلا رَادَّ لقضاءِ الله ، ولا مُعَقِّب لِحُكْمِه ، والله تبارك وتعالى يُدبِّر الأمور بحكمة ، وإن خفيت على أولى

---

[1] سورة محمد آية ٣١ .
[2] رقة : ضعف .
[3] فما يبْرح : فما يـــزال .
[4] رواه ابن ماجه كتاب الفتن .
[5] حبيبتيه : عينيه .
[6] رواه البخارى كتاب المرضى .
[7] رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

الألباب ، **فالخيرُ مُرَادٌ فى الأُمُور لذَاته ، والشَّرُّ فى بعض الأمور بَرَاقِع** .. فما من شَرٍّ إلاَّ وهو جُزئى ضمن خَير كُلِّى ، لأن الله لا يفعل إلاَّ الخير ، وهو سبحانه القائل : (وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)[1] .. لذلك كان بعض العارفين يقول : (**أجدُ سُرُورِى عِنْدَ مَوَاقِعِ القَدَرِ**) .. وكان بعضهم يحزن ويخاف إذا بسطت له الدنيا ويقول : **أخشى أن يقال لى يوم القيامة** : (أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا)[2] .. وقد رُوِىَ عن النبى (ﷺ) قوله : (**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**)[3] .. وقد قيل : (**الْمُؤْمِنُ لا يَخْلُو مِنْ : عِلَّةٍ ، أو قِلَّةٍ ، أو ذِلَّةٍ**) ..

والبلاء فى الدنيا للصابرين عليه نعمة خفية ، لِمَا فيه من اللجوء إلى المولى عز وجل ، ولِمَا فيه من تَكْفِير للسيئات ، أو رفعة للدرجات أو هما جميعًا .. وقد رُوِىَ عن عَبْد اللهِ بْن سَلاَم وَعَلِىّ بْن الْحُسَيْن (رَضِىَ اللهُ عَنْهُم) أَنَّهُمَا قَالاَ : **إِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة يُنَادِي مُنَاد : لِيَقُمْ أَهْل الصَّبْر .. فَيَقُوم نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَال لَهُمْ : انْطَلِقُوا إِلَى الْجَنَّة .. فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئكَةُ فَيَقُولُونَ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَيَقُولُونَ : إِلَى الْجَنَّة ، قَالُوا : قَبْل الْحِسَاب ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! فَيَقُولُونَ : مَنْ أَنْتُم ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَهْل الصَّبْر ، قَالُوا : وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ ؟ قَالُوا : صَبَرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَصَبَرْنَاهَا عَنْ مَعَاصِي الله ، وَصَبَرْنَاهَا عَلَى الْبَلاَءِ وَالْمِحَنِ فِي الدُّنْيَا** .. قال عَلِيّ بْن الْحُسَيْن : فَتَقُول لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ : (**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) .. وقال ابن سَلاَم :

---

[1] سورة البقرة آية ٢١٦ . [2] سورة الأحقاف آية ٢٠ . [3] رواه البخارى كتاب المرضى .

فَتَقُول لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ : (**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَىَ الدَّارِ**) .. [1]

أنواع الصبر :

لقد قسم السادة الشيوخ الصبر إلى عدة أنواع :

(الصبر بالله .. الصبر مع الله .. الصبر فى الله .. الصبر عن الله) ..

١- الصَّبْرُ بالله :

وهو أن يخرج العبد من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، مُوقِنًا بأنه لا حائل يحول بينه وبين المصائب إلا بالله ، ولا قُوَّة له على تحصيل المنافع إلا بالله ، وأنه لا يستطيع أن يمنع عن نفسه شرًّا ، ولا أن يَجْلِبَ لنفسه نفعًا .. وإنما عليه أن يلجأ إلى الله سائلا إياه ، متوسلاً إليه أن يُصَبِّره ويعينه على الطاعة ، وأن يحول بينه وبين المعصية ، وأن يُلْهِمَه الشكر على نعمائه باستعمالها فيما يجب ، ويرزقه الصبر على بلائه ، فلا يشكو أو يجزع .. وتتضح هذه المعانى فى قول الحق تبارك وتعالى : (قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ)[2] .. (قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ)[3] .. (وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ)[4] .. (وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾)[5] .. (مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾)[6] ..

[1] تفسير القرطبى سورة الرعد آية ٢٤ . [2] سورة الأعراف آية ١٨٨ . [3] سورة يونس آية ٤٩ .
[4] سورة يونس آية ١٠٧ . [5] سورة الأنعام آية ١٧ . [6] سورة فاطر آية ٢ .

وهكذا يتضح أن الأمور كلها بيد الله ، وأنه هو النافع وهو الضار ، وبالتالى فالصبر الذى هو ملاك الأمر لا يتأتى إلا بفضل الله ، ولذلك كان التوجيه الربانى لسيد الخلق (ﷺ) : (وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ)[1] .. وللوصول إلى هذا المقام لابد من التوجُّه إلى الله عز وجل بالطلب ، مع الاعتقاد الجازم بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن الخير والشر بيد الله ..

٢- الصَّبْرُ مع الله :

وهو أن يكون العبد مع الله تبارك وتعالى فى كل قضاء له وقدر ، بمعنى أن يكون هواه مع الله ، ومراده مع مراد الله ، راضيًا بكل ما يأتيه من الله دون اعتراض باللسان أو القلب فيتحقق بوصف النبى (ﷺ) للمؤمن : (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ**[2] **مِنَ الزَّرْعِ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا**)[3].. وهذا هو صبر الراضى ، وهو المطلوب ، وهو أعلى درجات الصبر ، وهو المقصود بالصبر مع الله .. إذ إن هناك صبر الكاره : وهو الذى لا حيلة له فى الأمر ، فهو صابر رغم أنفه ، وقلبه معترض على القضاء ، أو لسانه ناطق بالشكوى ، كطريح الفراش الذى يشكو مرضه لِزُوَّاره ، والمتعجب من موت ولده دون مَنْ كان معه فى حادث سيارة مثلاً .. وكذلك الذى يلجأ إلى الزواج من أُخرى لأن زوجته الأولى لا تُنْجب إلا البنات .. وهكذا فإن كل اعتراض ، أو شكوى ، أو استفهام ، أو تَعَجُّب من حوادث القضاء والقدر لا يكون صبرًا مع الله ، فالصبر مع الله إيمان راسخ بالقضاء والقدر : خيره ،

---

(١) سورة النحل آية ١٢٧ . (٢) الخامة : الغضّة الرّطبة من النبات . (٣) رواه البخارى كتاب المرضى .

وشَرِّه .. حُلْوه ، ومُرِّه .. واعتقاد بأن الله لا يأتى إلاَّ بالخير ، وأن البَلِيَّة نعمة خفية .. وأن ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئَك ، وأن ما أخطأك لم يكن لِيُصِيبَك .. وأن الله أرحم بالعبد من الأم بولدها ..

٢– الصَّبْرُ فى الله :

وهو الجهاد فى سبيل الله فى كل الميادين ، والسعى إلى رضائه بشتى الوسائل .. ويدخل فى نطاقه كل عمل يُؤَدَّى بمشقة ، وبمخالفة الهوى ، أو التعرض للأذى ، كالقتال لتكون كلمة الله هى العليا ، ولو تعرض الإنسان للإصابة بجروح ، أو لفقد عضو من أعضائه ، أو حتى للاستشهاد .. وقد حكى القرآن الكريم عن الصابرين فى الله فى مواضع كثيرة ، وحثَّنا على الاقتداء بــهم ، مثل قوله عز وجل : (وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)[١] .. وقــوله : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ)[٢] .. وقولــه : (أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[٣] .. وقوله : (فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[٤] .. وكذلك ما يلقاه الرُّسُل فى دعوتـــهم إلى الله من أقوامهم ، وما يلقاه المصلحون الآمرون بالمعروف والناهون

---

[١] سورة البقرة آية ٢٥٠ . [٢] سورة آل عمران آية ١٤٦ . [٣] سورة آل عمران آية ١٤٢ .
[٤] سورة الأنفال آية ٦٦ .

عن المنكر فى كل مكان وزمان ، فيصبرون ابتغاء مرضاة الله ، ونشر دينه ، وإعلاء كلمته .. والأمثلة فى القرآن على ذلك كثيرة ، منها : (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ)[1] .. (وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)[2] .. (يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ)[3] .. ولقد وعد الله عز وجل الصابرين فيه ببلوغ أمانيهم بقوله : (وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [4] ..

٢- الصَّبْرُ عن الله :

وهو صبر المحبين لله ، المشتاقين إلى لقائه ، والنظر إلى وجهه الكريم ، الذين تعلَّقت أرواحُهم وقلوبُهم بالجلال والكمال الربانى ، فهم منتظرون انتهاء آجالهم بصبر يكابد الشوق والترقُّب .. ولولا أن لهم آجالاً لابد أن ينتهوا إليها ما استقرَّت أرواحهم فى أبدانهم لحظة ، وهو صبر لا يفهمه إلا المحبُّون الذين امتلأت قلوبهم بحب الله لذاته ، فلا يعرف الشوق إلا مَنْ يكابده ، ولا يعرف الصبابة إلا مَنْ يعانيها ، وقد أشار إلى هذا النوع من الصبر عن الله كثير من المحبين أمثال : « عمر ابن الفارض » ، و« ذى النون المصرى » ، و« رابعة العدوية » فى أشعارهم ، ومواجيدهم ، وتكلموا عن حب خالص خاص لا يعرفه الكثير من الناس ، وزعموا

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٤ . (٢) سورة إبراهيم آية ١٢ . (٣) سورة لقمان آية ١٧ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

أن العبادة الناشئة عن الطمع فى الجنة أو الخوف من النار هى كعمل أجير السوء : إِنْ أُعْطِى رَضِىَ ، وإِنْ مُنِعَ سَخِطَ .. وأن الدافع إلى العبادة يجب أن يكون من منطلق الحب الخالص للذات العَلِيَّة ، الْمُبَرَّأ من شبهات الخوف ، والطمع ، فالله هو المعبود الحق الذى تَجِبُ عبادته والسعى إلى رضائه ، ولو لم تكن هنالك جنة ولا نار .. فهو سبحانه الجمال المطلق ، والجلال المطلق ، والكمال المطلق الذى تورث عبادته وطاعته لذة وهناء ، ويُغْنِى الأُنْسُ بذكْرِه عن كل أنيس .. ويتساءل هؤلاء : لو لم يخلق الله الجنة والنار أكان المقربون ينصرفون عن عبادته والسعى إلى مرضاته ، والشوق إلى لقائه ؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) : (**حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ ، وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**)[1] ؟ ولماذا كان يقوم الليل حتى تتورَّم قدماه وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! ويستشهد هؤلاء بأوصاف للمحبين جاءت فى القرآن مثل : (كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)[2] ..

وهكذا يُولِّدُ الحبُّ الصادق لله ، ومعرفة صفاته العليا ، اشتياقًا للقائه ، يكابده الْمُحِبُّون ، ويترجمونه إلى اجتهاد فى الطاعة ، وائتناس بِذِكْر الله ، وتلاوة كلامه ، بعيدًا عن كل ما يشغل من أمور الدنيا ، مستغلين هَدْأة الليل ، وغفلة العيون ، مستعينين بكل ذلك للصبر عن لقاء الله ، حتى يأتيهم الموت إتيان حبيب جاء على شوق ..

هذا .. والصبر – فى كل الأحوال بجميع أقسامه – يحتاج إلى محاولة وتَكَلُّف

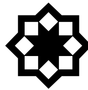
---

(1) رواه النسائى كتاب عشرة النساء . (2) سورة الذاريات آية ١٧ .

من الإنسان حتى يصل إلى أرقى أنواع الصبر ، ألا وهو الصبر الجميل الذى ورد على لسان « يعقوب » (عليه السلام) حين جاءه أبناؤه يزعمون أن الذئب قد أكل أخاهم « يُوسُف » إذ قال كما حكى القرآن عنه : (بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) [1] .. وقد قالها مرة أخرى حين جاءوه يخبرونه بأن ابنه الآخر سرق ، وأُخِذَ رَقِيقًا جزاءَ سَرِقَته : (بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ) [2] .. وقد شرح العلماء معنى الصبر الجميل بأنه : الصبر الذى لا شَكْوَى مَعَهُ ..

كما أن الصبر المطلوب حال البلاء هو الصبر عند الصدمة الأولى ، وليس بعد فتور حَرِّ المصيبة .. فقد رُوِىَ أن النبى (ﷺ) مرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ لها : (**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**) .. قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي .. فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) .. فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ ، فَأَتَتْ بَابَهُ ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ .. فقال : (**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**)[3] ..

هذا .. ويقول (ﷺ) : (**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ .. وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ .. وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ .. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**) [4] ..



[1] سورة يوسف آية ١٨ .
[2] سورة يوسف آية ٨٣ .
[3] رواه البخارى كتاب الجنائز ، ومسلم كتاب الجنائز .
[4] رواه البخارى كتاب الزكاة .

وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، تلك كانت إشاراتٌ إلى بعض أخلاقيات الإسلام .. التي لا يُمكن أن تُوفيها العباراتُ .. والتي من أجلها كانت الرسالاتُ .. والتي بها تَصِحُّ المعاملاتُ .. وتُنَالُ أرفعُ الدرجاتِ .. وأعلى المقامات .. وليس من العسير التخلقُ بها .. بالقليل من المجاهدات .. فالنَّفْسُ إن لَمْ نشْغَلْهَا بالحقِّ ، شغلتنا بالباطل ..

واللَّهَ نسألُ أَنْ يَهْدِيَنا لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ .. لاَ يَهْدى لأَحسَنِها إلاَّ هُو ..
وأَنْ يَصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا .. لاَ يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إلاَّ هُو ..
وأَنْ يُؤْتِى نُفُوسَنا تَقْوَاها .. ويُزَكِّيهَا ..
هُوَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا .. لَهُ مَمَاتُهَا .. ومَحْيَاهَا ..

ياسين رشدى

الكتاب القادم

٦ مِنْ مَجَامِعِ الْكَلِـــم

- مجموعة مختارة من أحاديث سيد المرسلين (ﷺ) مشـــروحة شرحًا مُيَسَّرًا ..
- على منابر من نور .
- الأمل فى الله .
- مفاتيح الرحمة .
- سيد الاستغفار .
- أهل الله وخاصته .
- الستر فى الدارين .
- الأعمال بالخواتيم .
- نية المرء خير من عمله .
- إذا فسد الزمان .
- الإفلاس الحقيقى .
- صنائع المعروف .
- أفضل الجهاد .
- العتاب الغريب .
- الحب فى الله .
- التفاصيل الدقيقة لشكل النبى (ﷺ) من وصف امرأة رأته ، ولم تكن تعرفه .
- وصَّاف العرب يصف رسول الله (ﷺ) وكأننا ننظر إليه .
- دعوات النبى (ﷺ) فى مختلف الظروف والأحوال .

الفهـــرس

رقم الإيداع ١٥٥٥ ١٩٩٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 – 0110 – 6

مجموعة كتب

الطريق إلى الله

١- هو الله
٢- الإسلام وأركانه
٣- من الأحاديث القدسية
٤- المحظورات
٥- من أخلاقيات الإسلام
٦- من مجامع الكلم
٧- التربية فى الإسلام
٨- فى رحاب الأصحاب
٩- نساء مؤمنات
١٠-التصوف ما له وما عليه
١١-من أحكام الإسلام
١٢-تأملات فى آيات من القرآن الكريم
١٣-من علوم القرآن وبلاغته
١٤-مناجاة
١٥-فى رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،